المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم

«جيل زد».. صيحة العصر وتحديات الهوية

العدد 2217 - السنة (57) - المحرم 1448هـ / 1 يوليو 2026م

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

الموقع عربي

ENGLISH SITE

بوابة إلإستشارات
الإلكترونية

بوابة أرشيف
المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
تأسست عام 1970
AL-MUJTAMA
SINCE 1970

الأعداد الورقية والإصدارات

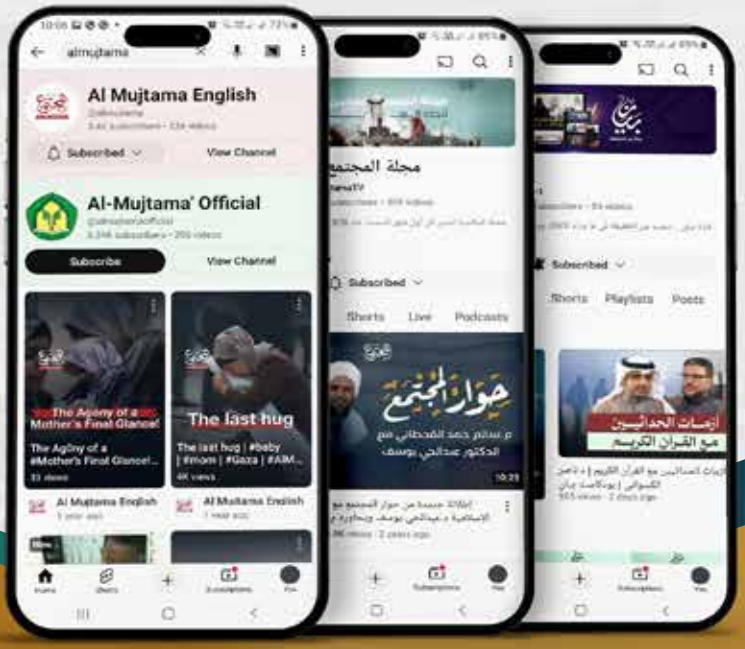

منصات
PLATFORMS

العدد (٢٢١٧) - السنة (٥٧)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

في هذا العدد:

«جيل زد».. صيحة العصر وتحديات الهوية

إعادة إحياء قطار الحجاز من إسطنبول إلى مكة.. شريان التكامل الإسلامي 6

نماء الخيرية تطلق مبادرة «البوصلة» و«مركز نماء للتطوع» 8

«الإصلاح الاجتماعي» تعقد جمعيتها العمومية وتعتمد تقاريرها المالية والإدارية والشرعية لعام 2025م 12

ماذا يقول «جيل زد» عن نفسه؟ وما أكثر ما يزعجهم في خطاب الكبار؟ 20

أبناء السحابة.. سيكولوجية الجيل الرقمي! 22

كيف كسر «جيل زد» احتكار الرواية الصهيونية رقمياً؟ 28

اقتصاد العمل الحر وصناعة المحتوى.. فرصة أم فخ؟ 30

رسالة المسجد في العصر الرقمي.. بين الواقع والمأمول 36

تصورات «جيل زد» حول الزواج والطلاق 39

السياسة الإيرانية تجاه الخليج العربي.. الجذور التاريخية والتحولات المعاصرة (1) 40

إسلامية شهرية

تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم القحطاني

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير

٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩

٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

رَأْيُ المُجْتَمَع

«جيل زد».. حين يلتقي الوعي بالفعل

كثيراً ما يُنظر إلى «جيل زد» بوصفه جيل الشاشات السريعة، ومنصات التواصل الاجتماعي، والاهتمامات المتغيرة، حتى غلبت بعض الصور النمطية على الحديث عنه، فصُوِّر أحياناً بأنه أقل ارتباطاً بقضايا أمته ومجتمعه، وأكثر انشغالاً بعالمه الرقمي الخاص، غير أن الوقائع المتتابعة خلال السنوات الأخيرة كشفت جانباً آخر أكثر عمقاً وإشراقاً، يتمثل في قدرة هذا الجيل على التفاعل الإيجابي المدهش مع القضايا العادلة متى ما وصلت إليه بوضوح، وفهم أبعادها الإنسانية والأخلاقية والحضارية.

لقد أثبت شباب هذا الجيل أنهم ليسوا بعيدين عن هموم أمتهم كما يُشاع، وأنهم يمتلكون حساً عالياً بالعدالة، وسرعة في التقاط القضايا الإنسانية، واستعداداً للمشاركة والتأثير متى ما وجدوا خطاباً صادقاً ولغة يفهمونها، وقد رأينا كيف تحولت المنصات الرقمية التي وُصفت يوماً بأنها أدوات للترفيه فقط إلى ساحات للتوعية، ونشر الحقائق، وكسر الاحتكار الإعلامي، وحشد الدعم المعنوي والإنساني للقضايا العادلة.

ومن أبرز ما يميز «جيل زد» قدرته اللافتة على التنظيم والإبداع، فهو لا يكتفي بالتعاطف أو التعبير العاطفي، لكنه يسعى إلى تحويل اهتمامه إلى مبادرات عملية وحملات مؤثرة ومحتوى هادف يصل إلى ملايين المتابعين حول العالم، كما يمتلك مهارات رقمية متقدمة مكّنته من توظيف التكنولوجيا لخدمة الأفكار والمبادئ، وإيصال الرسائل بلغة عصرية تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية.

إن هذا الواقع يدعونا إلى مراجعة الكثير من الأحكام المسبقة التي أُطلقت على الشباب، فالمشكلة ليست في ضعف اهتمامهم بالقضايا الكبرى، بقدر ما هي أحياناً في طريقة تقديم تلك القضايا لهم، وحين يجدون من يحاورهم بعقول منفتحة، ويشرح لهم الحقائق بلغة واضحة، ويمنحهم مساحة للمشاركة والإبداع، فإنهم يثبتون أنهم شركاء فاعلون في حمل الرسالة وخدمة المجتمع والدفاع عن القيم.

ومن هنا، فإن مسؤولية المؤسسات التربوية والدعوية والإعلامية تتجاوز مجرد مخاطبة الشباب إلى تمكينهم، والاستفادة من طاقاتهم، وإشراكهم في صناعة المبادرات والبرامج والمشروعات التي تخدم الأمة، فجيل اليوم ليس مجرد مستقبل ينتظر دوره، بل هو حاضر يصنع أثره بالفعل.

إن «جيل زد» يقدم لنا رسالة مهمة مفادها أن الوعي حين يقترن بالإيمان بالقضية، وأن الحماسة حين تُوجَّه توجيهاً صحيحاً، يمكن أن تصنع نماذج ملهمة من العطاء والبذل والإبداع، وما أحوج أمتنا إلى احتضان هذه الطاقات الواعدة، والثقة بها، وتوجيهها؛ لتكون لبنة راسخة في نهضة الأمة وتجديد رسالتها في عالم سريع التحول والتغير. ■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

قطر:
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠

البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الاشتراكات

الكويت: ١٠ دنانير كويتية
الدول العربية: ١٧ دينارا كويتيا
الدول الأجنبية: ٢٥ دينارا كويتيا
للمؤسسات والشركات: ٣٠ دينارا كويتيا
تشمل عمولة التحويل

الإعلانات

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٤٤٧٧٧ - ٩٧٢٢٨٢٩٠ الكويت.

إعادة إحياء قطار الحجاز من إسطنبول إلى مكة.. شريان التكامل الإسلامي

كتبت – د. فداء منصور الجوهري

قبل أكثر من قرن، أطلق السلطان العثماني عبدالحميد الثاني مشروع سكة حديد ربط دمشق بالمدينة المنورة، اختصر زمن الحج من شهور إلى أيام، ووحّد القلوب قبل الجغرافيا.

واليوم، وفي لحظة فارقة من تاريخ المنطقة، تعود فكرة إحياء خط الحجاز القديم إلى الواجهة بقوة، لكن هذه المرة برؤية أوسع تتمثل في شبكة حديدية تبدأ من تركيا، تمر عبر الشام والأردن، وتصل إلى الحجاز، ثم تتصل بمشاريع السكك الحديدية الخليجية العملاقة، إنه ليس مجرد قطار، بل نقلة نوعية في التكامل الاقتصادي والسياسي الإسلامي، يُعاد رسم ملامحها على وقع تحولات إقليمية كبرى.

ويأتي الحديث عن إحياء قطار الحجاز وربطه بالخليج في سياق إقليمي شديد التعقيد، بعد الاعتداءات الإيرانية على دول الخليج أثناء حربها مع أمريكا والكيان الصهيوني؛ ما سرع من دراسة فكرة لتحالفات إسلامية، تبحث عن أرضية صلبة للتعاون.

في هذا المشهد، يتحول خط السكة الحديد من مجرد مشروع نقل إلى أداة سياسية تربط تركيا العضو في «الناتو»، بالسعودية قلب العالم الإسلامي، مروراً بسورية التي بدأت تتعافى وتستعيد علاقاتها العربية، والأردن الحليف المستقر، ثم يمتد إلى باقي دول الخليج، هذا الربط يخلق واقعاً من الاعتماد المتبادل الذي يصعب كسره، ويجعل خيار الحرب مع هذه العواصم أكثر كلفة من أي وقت مضى، إنه ضمانة سلام واستقرار تفرضها البنية التحتية.

كما أن الممر الحديدي يمثل رداً إستراتيجياً على انكشاف الممرات المائية؛ فبعد أن أثبتت الحرب الإيرانية هشاشة مضيق هرمز وباب المندب، بات امتلاك ممر بري آمن من قلب آسيا الإسلامية إلى المياه المفتوحة في المتوسط والبحر الأحمر ضرورة لا رفاهية، فالبضائع والطاقة، بل وحتى القوى البشرية، يمكن أن تتدفق بعيداً عن هذه التهديدات؛ ما يمنح التحالف الإسلامي الجديد استقلالية إستراتيجية عن أي ضغوط خارجية.

والأهم أن المشروع يكرّس رؤية سياسية جديدة قوامها تنمية الإقليم بالإقليم، فعبر استثمارات خليجية، وتكنولوجيا تركية وخبرات أردنية، تتحول الدول من ساحات للصراع بالوكالة إلى شركاء.

وإيران بعد الحرب، قد تجد نفسها أمام خيارين؛ إما الانعزال خلف حدودها المنهكة، أو الانضمام لاحقاً إلى هذا المشروع التكاملي بشروط جديدة لا تقوم على الهيمنة والتمدد.

التأثيرات الاقتصادية.. سوق إسلامية مشتركة:

الخط الحديدي ليس حلماً بعيد المنال؛ فالكثير من مساره القديم لا يزال موجوداً أو يمكن إعادة تأهيله بتكلفة أقل من إنشاء طرق جديدة، وبضم المشروع إلى شبكة السكك الحديدية الخليجية المخطط لها، التي ستربط الكويت بالدمام فالبحرين فقطر مروراً بالإمارات وصولاً إلى عُمان، ستتحول المنطقة إلى سوق ضخمة متصلة براً، تمتد من أبواب أوروبا عند البوسفور إلى المحيط الهندي.

هذا المشروع يُعد رافعة اقتصادية لشعوب المنطقة التي أنهكتها الحروب، حيث يحقق:

١- انتعاش التجارة البينية: سيسهم القطار في تسريع وصول الصادرات وخفض تكاليف الشحن بنسبة قد تصل إلى ٤٠% مقارنة بالشحن البحري أو الجوي.

٢- خلق الوظائف: ستتحول المدن الصغيرة على طول الخط، مثل معان والمدورة وتبوك والعلا إلى مراكز لوجستية؛ ما يخلق آلاف الوظائف، ويعيد توزيع الثروة في تلك المدن بعيداً عن العواصم الكبرى.

٣- السياحة الدينية: سيتيح القطار لملايين المسلمين في تركيا وآسيا الوسطى والشام الوصول إلى البقاع المقدسة بتكلفة ميسرة؛ ما ينعش هذا القطاع بعوائد مستدامة.

٤- البُعد البيئي: يقلل النقل بالسكك الحديدية الانبعاثات الكربونية مقارنة بالنقل الجوي أو بأساطيل الشاحنات؛ ما يمنح المشروع بُعداً يتوافق مع الالتزامات المناخية العالمية.

عند اكتمال ربط هذا المسار بمشروع «الجسر البري» السعودي الذي يصل البحر الأحمر بالخليج العربي، ومشروع سكة حديد دول التعاون، سيكون بمقدور حاوية بضائع أن تنطلق من إزمير التركية إلى مسقط مروراً بالرياض وأبوظبي، في أقل من ٧٢ ساعة، هذا الممر الإسلامي الموحّد يغني عن طرق بحرية طويلة ومكلفة، ويمنح المنطقة قدرة تنافسية هائلة في التجارة العالمية بين آسيا وأوروبا وأفريقيا.

التحديات والآفاق المستقبلية:

ورغم مثالية المشروع، فإن تنفيذه يواجه تحديات حقيقية، منها:

١- الاستقرار وإعادة الإعمار: يتطلب الخط تأميناً كاملاً وتأهيلاً للبنية التحتية المدمرة في أجزاء من سورية المُقدر إعادة إعمارها بأكثر من ٢٠٠ مليار دولار.

٢- التمويل: يتطلب المشروع استثمارات بمليارات الدولارات، وهو ما يمكن تجاوزه عبر الصناديق السيادية الخليجية والشراكات الدولية.

٣- تباين معايير السكك وأنظمة التشغيل بين الدول: يتطلب الربط توحيد أنظمة القضبان والإشارات، وهو تحدٍّ تقني وتنظيمي يمكن تجاوزه بالتوافق على مواصفات موحدة.

هذه التحديات ليست عصية على الحل، فقد تجاوزت شبكات عالمية كبرى عقبات مماثلة بالإرادة السياسية والتخطيط المشترك.

إعادة إحياء قطار الحجاز وربطه بشبكة الخليج ليس عودة إلى الماضي، بل قفزه لمستقبل تتصالح فيه الهوية الإسلامية مع متطلبات التنمية الحديثة، في أعقاب تداعيات الحرب الأخيرة، وفي ظل تقارب تركي عربي غير مسبوق، يمتلك القادة اليوم فرصة تاريخية لتحويل شعارات التضامن إلى قضبان فولاذية وقطارات تسير عليها، وتكتب فصلاً جديداً من فصول القوة الإسلامية الجامعة، بقوة الاتصال، لا بقوة السلاح.

هذا القطار سيحمل فكرة أن المصير واحد، وأن الازدهار لا يتجزأ، إنه يعيد تعريف الأمن القومي من مجرد حماية الحدود إلى حماية سلاسل الإمداد وفرص العمل، وفي منطقة أنهكتها الحروب، يمثل إحياء خط الحجاز رمزاً للأمل، تماماً كما كان الهدف قبل مائة عام عندما أراد السلطان عبدالحميد لهذا الخط أن يصل قلوب المسلمين قبل أجسادهم.■

تحت رعاية وزيرة «الشؤون الاجتماعية» د. أمثال الحويلة..

نماء الخيرية تطلق مبادرة «البوصلة» و«مركز نماء للتطوع»

كتب – المحرر المحلي:

تحت رعاية وزيرة الشؤون الاجتماعية وشؤون الأسرة والطفولة د. أمثال هادي الحويلة، أطلقت نماء الخيرية بجمعية الإصلاح الاجتماعي مبادرة «البوصلة» و«مركز نماء للتطوع»، في خطوة نوعية تعكس توجهات دولة الكويت نحو الاستثمار في الإنسان وبناء رأس المال البشري وتمكين الشباب من صناعة مستقبلهم بعلم ووعي وثقة.

وتأتي مبادرة «البوصلة» بوصفها مشروعاً وطنياً متكاملاً يهدف إلى مساعدة الطلبة والشباب على اكتشاف قدراتهم وميولهم وشغفهم، وتوجيههم نحو المسارات الأكاديمية والمهنية التي تتناسب مع إمكاناتهم، من خلال منظومة متكاملة تضم المقاييس العلمية العالمية، وبرامج التأهيل والإرشاد، وإعداد المرشدين والمشرفين، وتنظيم المؤتمرات والملتقيات الشبابية والأنشطة الميدانية المتخصصة.

كما يأتي «مركز نماء للتطوع» ليشكل منصة تنموية لإعداد وتأهيل الشباب للمشاركة الفاعلة في العمل التطوعي المؤسسي، وغرس قيم المبادرة والعطاء والمسؤولية المجتمعية، بما يسهم في إعداد جيل قادر على خدمة وطنه والمشاركة في مسيرة التنمية المستدامة.

تحول إستراتيجي

وبهذه المناسبة، أكد رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد المذكور، أن مبادرة «البوصلة» و«مركز نماء للتطوع» يجسدان رؤية نماء الخيرية في الانتقال من العمل الخيري التقليدي إلى العمل التنموي المستدام الذي يركز على بناء الإنسان وصناعة الوعي وتمكين الشباب من اكتشاف قدراتهم وتسخيرها في خدمة دينهم ووطنهم ومجتمعهم.

وأوضح أن الإسلام أولى الإنسان عناية خاصة، وجعل العلم والمعرفة أساساً للنهضة والتمكين، مبيناً أن توجيه الشباب نحو التخصصات المناسبة لقدراتهم وميولهم يعد من أعظم صور الإحسان والاستثمار في المستقبل، لأن أثره يمتد إلى الفرد وأسرته ومجتمعه لعقود طويلة.

وأضاف د. المذكور أن مبادرة «البوصلة» ليست مجرد منصة إلكترونية أو اختبار مهني، وإنما مشروع وطني متكامل يضم منظومة من المقاييس العلمية العالمية والبرامج التوجيهية والتأهيلية التي تساعد الشباب على فهم ذواتهم والتخطيط لمستقبلهم الأكاديمي والمهني بصورة أكثر وعياً وثقة.

وأشار إلى أن المبادرة تتضمن العديد من المسارات النوعية، من بينها مقياس الميول الأكاديمية والمهنية، ومقياس الشغف لدى الشباب الكويتي، إضافة إلى برامج التوعية

والتأهيل والإرشاد التي تسهم في بناء جيل قادر على اتخاذ قراراته المصيرية على أسس علمية سليمة، مؤكداً أن «مركز نماء للتطوع» يمثل الذراع التربوية والمجتمعية للمبادرة، حيث يعمل على غرس قيم المبادرة والعطاء والمسؤولية المجتمعية في نفوس الشباب، وتأهيلهم للمشاركة الفاعلة في خدمة المجتمع من خلال العمل التطوعي المنظم والمؤثر.

وختم تصريحه بالتأكيد على أن بناء العقول لا يقل أهمية عن بناء المشروعات، وأن الأمم إنما تنهض بسواعد شبابها ووعيهم، معرباً عن أمله في أن تسهم هذه المبادرات في إعداد جيل واعٍ برسالته، معتز بقيمه، قادر على قيادة مسيرة التنمية والعطاء.

دعم حكومي وشراكة إستراتيجية

من جانبه، أكد مدير إدارة الجمعيات الخيرية والمبرات بوزارة الشؤون الاجتماعية عبدالمحسن المخيال، ممثل راعية الحفل وزيرة الشؤون الاجتماعية وشؤون الأسرة والطفولة د. أمثال هادي الحويلة، أن مبادرة «البوصلة» و«مركز نماء للتطوع» يجسدان نموذجاً متميزاً للمبادرات التنموية التي تواكب رؤية دولة الكويت في الاستثمار بالإنسان وتعزيز قدرات الشباب وتمكينهم من المساهمة الفاعلة في بناء المجتمع.

وأوضح أن وزارة الشؤون الاجتماعية تولي اهتماماً كبيراً بالمبادرات النوعية التي تتجاوز مفهوم العمل الخيري التقليدي إلى التنمية المستدامة وبناء القدرات، مشيراً إلى أن الشباب يمثلون الثروة الحقيقية للوطن، وأن دعمهم بالمعرفة والمهارات والتوجيه السليم يعد استثماراً إستراتيجياً في مستقبل الكويت.

وأضاف المخيال أن مبادرة «البوصلة» تعكس فهماً عميقاً للتحديات التي تواجه الطلبة والشباب في اختيار تخصصاتهم ومساراتهم المهنية، خاصة في ظل المتغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم، حيث توفر لهم أدوات علمية ومهنية تساعدهم على اتخاذ قرارات أكثر وعياً واستنارة.

وأشار إلى أن ما يميز المبادرة شموليتها، إذ لا تقتصر على تقديم مقياس علمي للميول المهنية والأكاديمية، بل تتضمن برامج تأهيل

المذكور: بناء الإنسان من أعظم صور الصدقة الجارية

المخيال: المبادرات النوعية تسهم في بناء رأس المال البشري

العتيبي: «البوصلة» مشروع إستراتيجي لإعداد شباب واعٍ

وإرشاد، ومؤتمرات وملتقيات وورش عمل متخصصة، إلى جانب إعداد كوادر وطنية من المرشدين والمشرفين القادرين على دعم الشباب ومساندتهم في رسم مستقبلهم.

وفيما يتعلق بمركز نماء للتطوع، أكد المخيال أن العمل التطوعي يمثل أحد أهم مرتكزات التنمية المجتمعية، وأن تعزيز ثقافة التطوع المؤسسي يسهم في بناء الشخصية الوطنية وترسيخ قيم المسؤولية والانتماء والعطاء، فضلاً عن تنمية المهارات القيادية والاجتماعية لدى الشباب.

وأشاد بالدور الذي تقوم به مؤسسات النفع العام والجمعيات الخيرية في دعم جهود الدولة التنموية، مؤكداً أن الشراكة بين الجهات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني تعد أحد عوامل النجاح الرئيسة في تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز الأثر المجتمعي للمبادرات الوطنية.

واختتم المخيال تصريحه بالتأكيد على أن وزارة الشؤون الاجتماعية تدعم كل المبادرات التي تسهم في تمكين الشباب وتأهيلهم للمستقبل، معرباً عن تقديره لجهود نماء الخيرية وجمعية الإصلاح الاجتماعي في إطلاق هذه المبادرة النوعية التي تجمع بين التوجيه الأكاديمي والتأهيل المهني والعمل التطوعي في إطار تنموي متكامل.

ونقل المخيال تحيات وتقدير وزيرة الشؤون الاجتماعية وشؤون الأسرة والطفولة د. أمثال الحويلة للقائمين على المبادرة، مؤكداً أن رعاية الوزارة لهذا الحدث تأتي انطلاقاً من الإيمان بأهمية الاستثمار في الشباب باعتبارهم الركيزة الأساسية لتحقيق التنمية والنهضة الوطنية.

دليل الشباب لسوق العمل

من جهته، أكد رئيس اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية، الرئيس التنفيذي لنماء الخيرية، سعد مرزوق العتيبي، أن مبادرة «البوصلة» تمثل أحد المشاريع الإستراتيجية التي تتبناها نماء الخيرية في إطار رؤيتها للاستثمار في رأس المال البشري، انطلاقاً من قناعة راسخة بأن بناء الإنسان أساس التنمية الحقيقية وأهم مرتكزات صناعة المستقبل.

وقال: إن المبادرة جاءت استجابة لتحديات واقعية يواجهها الشباب في ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم في مجالات التعليم والتقنية وسوق العمل، حيث أصبح من الضروري توفير أدوات علمية ومهنية تساعدهم على اتخاذ قرارات أكثر وعياً فيما يتعلق بمساراتهم الأكاديمية والمهنية.

وأوضح العتيبي أن «البوصلة» مشروع متكامل يبدأ من اكتشاف الذات وقياس الميول والقدرات والشغف، ويمتد إلى التوجيه والتأهيل والإرشاد، وصولاً إلى بناء خطط مستقبلية تساعد الشباب على تحقيق التوافق بين إمكاناتهم الشخصية ومتطلبات سوق العمل.

وأضاف أن المبادرة لا تقتصر على تقديم المقاييس العلمية فحسب، بل تشمل برامج لإعداد وتأهيل المرشدين والمشرفين، وتنظيم مؤتمرات وملتقيات شبابية متخصصة، وإقامة ورش عمل وأنشطة ميدانية تسهم في نشر ثقافة التخطيط للمستقبل والاختيار الواعي للتخصصات والمهن.

وأشار العتيبي إلى أن «مركز نماء للتطوع» يشكل ركيزة أساسية في بناء الشخصية القيادية للشباب، من خلال توفير بيئة تطوعية احترافية تمكنهم من اكتساب الخبرات العملية وتعزيز مهارات القيادة والعمل الجماعي والمسؤولية المجتمعية.

وأكد أن نماء الخيرية تتطلع إلى أن تصبح مبادرة «البوصلة» مرجعاً وطنياً في مجال التوجيه الأكاديمي والمهني للشباب، وأن تسهم في إعداد جيل يمتلك الوعي والمعرفة والقدرة على الإبداع والمشاركة الفاعلة في تحقيق التنمية المستدامة ■

وزارة الصحة تكرِّم «الإصلاح الاجتماعي» تقديراً لدورها في حملة التبرع بالدم

في مشهد يجسد قيم العطاء الإنساني والتكافل المجتمعي، كرّمت وزارة الصحة ممثلة بإدارة خدمات نقل الدم (بنك الدم المركزي) جمعية الإصلاح الاجتماعي، وذلك تقديراً لمشاركتها الفاعلة في حملة التبرع بالدم التي نُظمت بالتنسيق مع مكتب التعاون الإسلامي، وأقيمت فعاليات التكريم في مركز الشيخة سلوى صباح الأحمد.

وشهد الحفل حضور مديرة إدارة خدمات نقل الدم بوزارة الصحة د. ريم العوضي، وعضو مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي المهندس عبدالله الهديب، ومدير إدارة العلاقات العامة بالجمعية عبدالرحمن الشطي.

وبهذه المناسبة، أعرب مدير إدارة العلاقات العامة في جمعية الإصلاح الاجتماعي عبدالرحمن الشطي عن بالغ اعتزازه بهذا التكريم، مؤكداً أن هذا التقدير يعكس عمق الشراكة المجتمعية بين مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني في ترسيخ ثقافة التبرع بالدم وتعزيز قيم المسؤولية الإنسانية، بما يسهم في إنقاذ الأرواح وتلبية احتياجات المرضى.

وأضاف الشطي أن التبرع بالدم يمثل إحدى أسمى صور العطاء الإنساني، لما يحمله من رسالة نبيلة تقوم على إنقاذ حياة الآخرين، مشيراً إلى أن مثل هذه الحملات تجسد قيم الرحمة والتكافل التي حث عليها الدين الإسلامي، وتترجم عملياً روح التضامن المجتمعي.

وأوضح أن جمعية الإصلاح الاجتماعي تضع ضمن أولوياتها دعم المبادرات الوطنية والصحية التي تخدم المجتمع، انطلاقاً من رسالتها في تعزيز العمل التطوعي وترسيخ مفهوم الشراكة الفاعلة مع مختلف مؤسسات الدولة، بما يحقق أثراً تنموياً وإنسانياً مستداماً.

وأكد أن مشاركة الجمعية في حملة التبرع بالدم جاءت بالتنسيق مع مكتب التعاون الإسلامي، ضمن جهودها المتواصلة في دعم المبادرات الإنسانية التي تعزز الجاهزية الوطنية وتلبي الاحتياجات الصحية للمجتمع.

وأشار الشطي إلى أن النجاح الذي حققته الحملة يعكس ارتفاع مستوى الوعي المجتمعي بأهمية التبرع بالدم، ويعكس في الوقت ذاته روح المبادرة والاستجابة السريعة التي يتميز بها المجتمع الكويتي في مختلف الأعمال الإنسانية والوطنية.

وثمّن الدور الحيوي الذي تقوم به وزارة الصحة وإدارة خدمات نقل الدم في نشر ثقافة التبرع بالدم وتنظيم الحملات التوعوية والميدانية، التي تسهم في تعزيز المخزون الإستراتيجي من وحدات الدم وضمان تلبية احتياجات المستشفيات والمرضى.

كما أشاد بالجهود المخلصة التي بذلها المتطوعون والمنظمون وجميع المشاركين في الحملة، مؤكداً أن نجاح مثل هذه المبادرات يقوم على تكامل الأدوار بين الجهات الرسمية والأهلية والمتطوعين، بما يعكس روح العمل الجماعي والمسؤولية المشتركة.

وفي سياق متصل، أوضح الشطي أن هذه الحملة الإنسانية جاءت في ظل الظروف والأحداث التي مرت بها البلاد، حيث تجلت خلالها أسمى معاني التلاحم والتعاون والتكافل بين أبناء المجتمع ومؤسسات الدولة، الذين عملوا جنباً إلى جنب في خدمة الإنسان وتعزيز الجاهزية الصحية.

كما أكد أن هذا النموذج من التعاون يعكس روح الوحدة الوطنية في ظل قيادة حضرة صاحب السمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، التي تولي اهتماماً كبيراً لتعزيز قيم التكاتف والتعاون بين مختلف مؤسسات الدولة والمجتمع المدني.

واختتم الشطي تصريحه بالإشادة بالدور الكبير الذي تقوم به الصفوف الأمامية من الكوادر الطبية في وزارة الصحة، تقديراً لجهودهم الاستثنائية في حماية الأرواح وتقديم الرعاية الصحية، مؤكداً أن ما يقدمونه يمثل نموذجاً رفيعاً للتضحية والعطاء الإنساني. ■

بعد تجاوزه الـ70 عاماً.. «الإصلاح الاجتماعي» تحتفي بختم العم عادل العصفور للقرآن الكريم

في مشهد ملهم يجسد أن طريق القرآن لا تحدّه الأعمار ولا تقف في وجهه السنوات، حقق مدير مكتب الوفاء في جمعية الإصلاح الاجتماعي العم عادل العصفور إنجازاً استثنائياً بختم القرآن الكريم كاملاً وإجازته في القراءة والإقراء بعد تجاوزه الـ٧٠ عاماً، حفظه الله.

ونظمت أمانة القرآن الكريم في جمعية الإصلاح الاجتماعي، في ٢٢ يونيو ٢٠٢٦م، حفلاً بمناسبة إجازة العم عادل العصفور (أبو عبدالله) في قراءة القرآن الكريم وإقرائه برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، في مشهد وصفه الحاضرون بأنه إنجاز استثنائي يجسد مكانة القرآن في القلوب، بعيداً عن قيود العمر والسنوات.

وقال المدير التنفيذي لأمانة القرآن الكريم في الجمعية الشيخ محمد العلي: إن مركز «تبصرة» لحفظ القرآن الكريم عاش فرحة كبيرة بهذه الختمة المباركة، مؤكداً أن القرآن العظيم لا يعرف عمراً، وإنما يعرف صدق النية وعلو الهمة، ومهنئاً العم العصفور وأسرته وأبناءه وأحفاده، وكذلك مشايخ المركز ومنتسبيه بهذه المناسبة المباركة.

من جهته، عبّر مدير مكتب الوفاء بالجمعية العم عادل العصفور عن امتنانه لله تعالى على ما منّ به عليه من التوفيق، موضحاً أنه أتم ختم المصحف بعد نحو ٤ سنوات من الجهد والمثابرة، رغم تقدمه في العمر الذي تجاوز السبعين عاماً، مشيراً إلى أن هذه الرحلة كانت مليئة بالتحدي، لكنها انتهت بفضل الله وكرمه إلى هذا الإنجاز القرآني المميز ■

أمانة العمل النسائي بـ«الإصلاح»: برامج صيفية هادفة للفتيات في الروضة والجهراء

أعلنت أمانة العمل النسائي في جمعية الإصلاح الاجتماعي عن إطلاق ناديي «زوايا» و«سدرة» الصيفيين للفتيات ضمن برامج قطاع بناء الأجيال، بهدف استثمار أوقات العطلة الصيفية في أنشطة تربوية وترفيهية تسهم في تنمية المهارات وتعزيز القيم في بيئة آمنة وجاذبة.

نادي «زوايا»:

وفي هذا الإطار، انطلقت فعاليات نادي «زوايا» الصيفي للفتيات تحت شعار «حيث للمرح عنوان» في منطقة الروضة خلال الفترة من ٢٨ يونيو – ٢٢ يوليو ٢٠٢٦م، من خلال ٣ برامج هي: «أزيان» و«عُلا» و«المروج».

ويستهدف النادي الفتيات من الصف الأول الابتدائي حتى الصف الثاني عشر، حيث خُصص برنامج «أزيان» للفتيات من عمر ٦ – ١١ عاماً، وبرنامج «عُلا» للفئة العمرية من ١١ – ١٤ عاماً، فيما يستهدف برنامج «المروج» الفتيات من ١٥ – ١٧ عاماً.

ويتضمن النادي مجموعة متنوعة من الأنشطة والبرامج التربوية والترفيهية، تشمل ورش الفنون والطبخ، والأنشطة المائية، والمسابقات الحركية، والماراثون، والسينما، والتحديات المهارية، ولقاءات «خواطر»، إلى جانب عدد من البرامج القيمية

والتربوية الهادفة.

وتقام فعاليات النادي خلال الفترة المسائية من الساعة الخامسة حتى الثامنة والنصف مساءً، حيث خُصصت أيام الأحد إلى الأربعاء لطالبات الصف الأول حتى الثامن، فيما تنتظم طالبات الصف التاسع حتى الثاني عشر أيام الأحد والإثنين والأربعاء.

نادي «سدرة»:

وفي محافظة الجهراء، أعلنت الأمانة كذلك عن إطلاق نادي «سدرة» الصيفي للفتيات خلال الفترة من ٤ يوليو – ٢٩ يوليو ٢٠٢٦م، من خلال برنامجي «أزيان» و«عُلا»، وذلك في مقر أمانة العمل النسائي.

ويستهدف النادي الفتيات من الصف الأول حتى الصف التاسع، حيث خُصص برنامج «أزيان» لطالبات الصف الأول حتى الرابع، فيما يستهدف برنامج «عُلا» طالبات الصف الخامس حتى التاسع.

ويقدم النادي باقة من البرامج التربوية والأنشطة المتنوعة، من أبرزها: «وقت مع القرآن»، و«القيم الراسخة»، و«صغيرات المطبخ»، والرحلات الترفيهية، والدورات التثقيفية، والمهارات اليدوية، بما يسهم في تنمية قدرات المشاركات وصقل مهاراتهن.

وتقام فعاليات نادي «سدرة» أيام السبت والإثنين والأربعاء من الساعة الخامسة مساءً حتى الثامنة مساءً.

وأكدت أمانة العمل النسائي أن هذه الأندية الصيفية تأتي ضمن جهودها الرامية إلى توفير محاضن تربوية متكاملة للفتيات، تجمع بين المتعة والفائدة، وتسهم في بناء الشخصية، وتنمية المهارات، وتعزيز القيم الإيجابية خلال الإجازة الصيفية ■

«الإصلاح الاجتماعي» تعقد جمعيتها العمومية العادية وتعتمد تقاريرها المالية والإدارية والشرعية لعام 2025م

كتب – المحرر المحلي:

عقدت جمعية الإصلاح الاجتماعي جمعيتها العمومية العادية، مساء الأربعاء ٢٤ يونيو ٢٠٢٦م، بمقر الجمعية في منطقة الروضة، وذلك لمناقشة واعتماد التقريرين المالي والإداري وتقرير التدقيق الشرعي عن السنة المالية المنتهية في ٣١ ديسمبر ٢٠٢٥م، بحضور رئيس مجلس الإدارة د. خالد مذكور المذكور، والأمين العام حمد العلي، والمدير العام فهد الفيلكاوي، وممثلي وزارة الشؤون الاجتماعية، وممثلي مكاتب التدقيق المحاسبي والشرعي.

وشهدت الجمعية العمومية استعراض أبرز إنجازات الجمعية خلال عام ٢٠٢٥م، ومناقشة التقارير المالية والإدارية والشرعية، حيث أبدى أعضاء الجمعية العمومية تفاعلاً إيجابياً وطرحوا العديد من الملاحظات والاستفسارات التي تمت الإجابة عنها من قبل مسؤولي الجمعية، في أجواء اتسمت بالشفافية والمسؤولية والحرص على تطوير الأداء المؤسسي وتعزيز مسيرة العمل الاجتماعي والخيري.

كما تم اعتماد التقارير المالية والإدارية والشرعية للسنة المالية المنتهية في ٣١ ديسمبر ٢٠٢٥م، تأكيداً لالتزام الجمعية بمبادئ الحوكمة والشفافية والامتثال للأنظمة واللوائح المنظمة للعمل الأهلي.

وأكد رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد مذكور المذكور أن انعقاد الجمعية العمومية واعتماد التقارير المالية والإدارية والشرعية للسنة المالية ٢٠٢٥م يعكس مستوى الثقة الذي تحظى به الجمعية لدى أعضائها، ويؤكد نجاحها في مواصلة رسالتها المجتمعية والتنموية وفق أعلى معايير الحوكمة والشفافية.

وقال المذكور: إن جمعية الإصلاح الاجتماعي تواصل أداء رسالتها الوطنية والاجتماعية الممتدة منذ عقود، مستندة إلى قيمها الإسلامية والإنسانية، وملتزمة بتطوير أعمالها وبرامجها بما يحقق النفع العام ويخدم المجتمع الكويتي، ويعزز دور مؤسسات المجتمع المدني كشريك فاعل في التنمية.

وأضاف أن الجمعية حققت خلال عام ٢٠٢٥م العديد من الإنجازات في المجالات الاجتماعية والتربوية والدعوية والخيرية، مؤكداً أن هذه النجاحات ما كانت لتتحقق لولا توفيق الله تعالى، ثم دعم أعضاء الجمعية والمتطوعين والعاملين والشركاء من الجهات الرسمية والأهلية.

د. المذكور رئيساً ود. الوهيب نائباً للرئيس والعلي أميناً عاماً والقشعان أميناً للصندوق

من جانبه، أكد الأمين العام لجمعية الإصلاح الاجتماعي حمد محمد العلي أن اعتماد التقارير المالية والإدارية والشرعية يعكس سلامة الإجراءات المؤسسية التي تنتهجها الجمعية، وحرصها المستمر على الالتزام بأفضل الممارسات الإدارية والمالية والشرعية.

وقال: إن ما تحقق خلال عام ٢٠٢٥م ثمرة عمل جماعي متكامل بين مجلس الإدارة والقطاعات المختلفة والعاملين والمتطوعين، حيث واصلت الجمعية تنفيذ برامجها ومبادراتها المتنوعة التي استهدفت خدمة مختلف شرائح المجتمع وتعزيز قيم التكافل والمسؤولية المجتمعية.

وأضاف العلي أن الجمعية أولت اهتماماً كبيراً خلال العام الماضي بتطوير برامجها ومشاريعها وتحسين جودة الخدمات المقدمة للمستفيدين، إلى جانب تعزيز الشراكات مع الجهات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني؛ بما يسهم في توسيع دائرة الأثر وتحقيق الاستدامة في العمل الاجتماعي والخيري.

وفي ختام أعمال الجمعية العمومية، أجريت انتخابات مجلس إدارة الجمعية للدورة الجديدة، **وأسفرت النتائج عن فوز كل من:**

١- د. خالد مذكور المذكور
٢- حمد محمد العلي.
٣- خلف فهد القشعان.
٤- دعيج أحمد القبندي.
٥- سالم مبارك السالم.
٦- سالم مساعد العبدالجادر.
٧- عبداللطيف سالم المطوع.
٨- كريدي عبيد الدوسري.
٩- م. محمد صالح المرزيني.
١٠- محمد علي العمر.
١١- د. وليد عبدالمحسن الوهيب.

وعقب إعلان النتائج، عقد مجلس الإدارة المنتخب اجتماعه الأول، حيث تم توزيع المناصب الإدارية على النحو التالي: د. خالد مذكور المذكور رئيساً لمجلس الإدارة، ود. وليد عبدالمحسن الوهيب نائباً للرئيس، وحمد محمد العلي أميناً عاماً للجمعية، وخلف فهد القشعان أميناً للصندوق.

وأكد أعضاء مجلس الإدارة المنتخبون مواصلة العمل على تعزيز رسالة الجمعية وأهدافها، وتطوير برامجها ومبادراتها المجتمعية، وترسيخ مبادئ الحوكمة والشفافية، بما يسهم في خدمة المجتمع الكويتي وتحقيق تطلعات أعضاء الجمعية ودعم مسيرة العمل الأهلي والخيري في دولة الكويت. ■

حسن شمس الدين.. رحلة عطـــاء وإيمـــان

مكتب الوفاء- عادل العصفور:

في حياة بعض الرجال تتجسد معاني البذل والتواضع والدعوة الصادقة، فيتركون خلفهم إرثاً من المواقف الطيبة والذكريات العطرة التي تبقى حاضرة في قلوب من عرفوهم، وكان الراحل حسن علي عبدالله شمس الدين واحداً من هؤلاء الرجال الذين جمعوا بين الاستقامة وحسن الخلق والعمل الدعوي الدؤوب، فكان مثالاً للمربي الناصح، والموظف المخلص، والإنسان المحب للخير.

ومنذ نشأته في بيئة إيمانية محافظة، وحتى وفاته في ٦ رمضان ١٤٣٤هـ، ظل يرحمه الله وفياً لمبادئه، حاضراً في ميادين الدعوة والإصلاح، تاركاً بصمة مضيئة في أسرته ومجتمعه وكل من تشرف بمعرفته.

نشأته:

وُلد حسن علي عبدالله شمس الدين في حي شرق بمدينة الكويت، في ٢ ربيع الآخر ١٣٧٢هـ/ ١٦ فبراير ١٩٥٣م، ونشأ في أسرة عُرفت بالصلاح والاستقامة، وكان والده، المعروف بـ«الملا علي»، حريصاً على تربية أبنائه تربية إيمانية، فاعتاد اصطحابهم إلى المسجد والمحافظة على الصلاة؛ الأمر الذي أسهم في تشكيل شخصيته وترسيخ القيم الدينية في نفسه منذ الصغر.

وفي أواخر ستينيات القرن الماضي، انتقلت الأسرة إلى منطقة الروضة، وهناك بدأ ارتباطه المبكر بالعمل الدعوي من خلال مشاركته مع شباب الإصلاح، ليضع أولى لبنات مسيرته في خدمة الدعوة والعمل الإسلامي.

مسيرته التعليمية:

تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة كاظمة، ثم أكمل المرحلة المتوسطة في مدرسة الصديق، والثانوية في مدرسة الجاحظ.

وبعد ذلك سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أن يواصل دراسته الجامعية في كلية الحقوق بجامعة بيروت العربية، حيث حصل على شهادة الليسانس في القانون.

حياته العملية:

التحق بالعمل في الهيئة العامة للإسكان، وتدرج في عدد من المواقع الوظيفية حتى تولى منصب مدير الشؤون القانونية والإسكان، حيث عُرف بالكفاءة والإخلاص والتفاني في أداء مسؤولياته.

أبرز صفاته:

اتصف الراحل يرحمه الله بصفات نبيلة جعلته قريباً من القلوب ومحبوباً بين الناس؛ فقد عُرف بالعطاء وحب البذل وخدمة الآخرين، كما اتسم بالرفق واللين، ولم يكن سريع الغضب، بل غلبت عليه روح المرح والبشاشة والابتسامة الدائمة، وكان يكره الغيبة والنيل من الآخرين، فلا يرضى أن يُذكر أحد بسوء في مجلسه، بل كان يحرص على ذكر الناس بالخير والدعاء لهم.

ومنذ صغره ارتبط قلبه بالمسجد وصلاة الجماعة، وظل محافظاً عليها طوال حياته، بل إنه في أيام مرضه الأخيرة، ورغم توصية الأطباء له بالراحة ومنعه من القيادة بسبب ضعف بصره، لم يتخلَّ عن هذه العبادة، فكان يذهب إلى المسجد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، حتى لو اضطر إلى السير على قدميه.

كما عُرف بتواضعه الشديد وزهده في المظاهر، إذ كانت الآخرة حاضرة أمام عينيه دائماً، مستلهماً قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَه اللَّه» (صحيح مسلم)، فكان هذا التواضع أحد أسباب محبة الناس له وتقديرهم لشخصه.

بره وصلة رحمه:

كان يرحمه الله مثالاً في بر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الأقارب، حريصاً على التواصل مع إخوانه وأخواته والسؤال عنهم، كما كان من أوائل الحاضرين في المناسبات والتجمعات العائلية.

واتسم في تعامله مع الجميع بالرفق ولين الجانب، فلم يُعرف عنه أنه جرح أحداً بكلمة أو أساء إلى شخص، لما تحلى به من دماثة خلق ورقي في التعامل، وكان دائم السعي إلى الإصلاح بين الناس وجمع القلوب ونشر الألفة والمحبة بينهم، فأحبه كل من عرفه وخالطه.

دوره الدعوي:

شكّلت الدعوة إلى الله محوراً أساسياً في حياته، فقد كرّس لها جهده ووقته وفكره، حتى بدا لمن حوله أن الدعوة هي رسالته الأولى في الحياة، واختار شريكة حياته من أسرة صالحة، لتكون عوناً له في هذا الطريق.

ولم يقتصر نشاطه الدعوي على أوقات إقامته في الكويت، بل استمر معه في أسفاره ودراسته وتنقلاته، وظل حاضراً في ميادين التربية والإصلاح والتأسيس الإيماني، مؤمناً بأهمية بناء الإنسان وغرس القيم في النفوس.

وفاته:

وفي يوم الأحد ٦ رمضان ١٤٣٤هـ/ ١٤ يوليو ٢٠١٣م، انتقل حسن علي عبدالله شمس الدين إلى رحمة الله تعالى، بعد حياة حافلة بالعطاء والعمل الصالح والدعوة إلى الله، تاركاً وراءه سيرة عطرة وأثراً طيباً لا يزال حاضراً في ذاكرة أسرته ومحبيه وكل من عرفه. ■

«الجسر الأكاديمي».. هل آن أوان المراجعة في الكويت؟

حسن جبران بن طفلة
ماجستير التربية والتدريب التقني

في خطوة لافتة ومثيرة للاهتمام، أعلنت وزارة التربية والتعليم العالي في دولة قطر عن إطلاق مبادرة تتيح لطلبة المسار الأدبي الالتحاق ببعض التخصصات العلمية عبر برنامج «الجسر الأكاديمي»، وذلك بعد استيفاء شروط محددة واجتياز برامج تأهيلية واختبارات تقيس مدى جاهزية الطالب للانتقال إلى هذا المسار.

هذه الخطوة لا ينبغي النظر إليها على أنها مجرد تعديل إجرائي في نظام القبول الجامعي، بل هي محاولة لإعادة تعريف العلاقة بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي وإعادة التفكير في مدى عدالة ومرونة الأنظمة التعليمية التي قد تربط مستقبل الطالب بقرار اتخذه في سن مبكرة.

الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن كثيراً من الطلبة يختارون مساراتهم الدراسية في المرحلة الثانوية وهم في عمر لا يسمح دائماً بتحديد ميولهم الحقيقية أو تصور مستقبلهم المهني بشكل واضح، وقد يكون اختيار المسار الأدبي أو العلمي ناتجاً عن ظروف معينة أو نصيحة أسرية أو اجتهادات مدرسية أو حتى بسبب أداء مؤقت في مادة دراسية معينة، لكن هل يجب أن يبقى هذا القرار حاسماً لمستقبل الطالب الأكاديمي والمهني لعشرات السنوات القادمة؟

ما قامت به قطر يقدم إجابة مختلفة، فبدلاً من إغلاق الأبواب فتحت نافذة جديدة قائمة على مبدأ «الفرصة الثانية»، ولكن ضمن ضوابط أكاديمية واضحة، فالطالب لن ينتقل مباشرة إلى التخصصات العلمية، وإنما يخضع لبرنامج تأهيلي واختبارات تحدد قدرته على النجاح في هذه التخصصات بما يضمن المحافظة على جودة المخرجات الأكاديمية وعدم الإضرار بمستوى التعليم.

من الفوائد المتوقعة لهذه التجربة أنها توسع الخيارات الأكاديمية أمام الطلبة، وتقلل من الشعور بالندم الناتج عن اختيارات مبكرة، كما تساعد على الاستجابة بشكل أكثر مرونة لمتطلبات سوق العمل المتغيرة، خصوصاً في المجالات العلمية والتقنية التي تشهد طلباً متزايداً في مختلف دول العالم.

كذلك، فإن نجاح مثل هذه البرامج قد يسهم في اكتشاف طاقات وقدرات كامنة لدى بعض الطلبة لم تتح لهم الفرصة لإبرازها في المرحلة الثانوية، فليس كل طالب في المسار الأدبي يفتقر إلى القدرات العلمية، كما أن التميز في التخصصات العلمية لا يرتبط دائماً بالمسار الدراسي بقدر ما يرتبط بالدافعية والاستعداد والبيئة التعليمية المناسبة.

وفي الكويت، ربما يكون من المبكر إصدار أحكام قاطعة حول جدوى هذه التجربة، إلا أنه من الحكمة متابعتها عن كثب، ورصد نتائجها الفعلية خلال السنوات القادمة، فالتجارب التعليمية الناجحة في الدول الشقيقة تمثل فرصة للتعلم والاستفادة، لا سيما عندما تتعامل مع تحديات متشابهة تواجه أنظمتنا التعليمية.

ولعل الحديث عن هذه التجربة يفتح الباب أيضاً لمراجعة بعض الإجراءات التعليمية المطبقة لدينا في الكويت، فقبل الوصول إلى مرحلة الجسور الأكاديمية بين المسارات في التعليم الجامعي، يمكن البدء بخطوات أكثر بساطة ومرونة داخل المرحلة الثانوية نفسها، ومنها السماح لطلبة القسم العلمي في الصف الحادي عشر الذين اجتازوا العام الدراسي بنجاح وانتقلوا إلى الصف الثاني عشر بالتحويل إلى القسم الأدبي مباشرة إذا رغبوا في ذلك دون إلزامهم بإعادة دراسة الصف الحادي عشر من جديد، فإعادة سنة دراسية كاملة بسبب تغيير المسار تمثل عائقاً كبيراً أمام كثير من الطلبة وقد تدفع البعض إلى الاستمرار في مسار لا يتناسب مع قدراتهم أو ميولهم الحقيقية.

إن الأنظمة التعليمية الحديثة تتجه نحو زيادة المرونة وتوسيع خيارات الطلبة، والكويت ليست بمعزل عن هذه التحولات، ومن المهم أن نتابع التجارب التعليمية الناجحة في محيطنا الخليجي والعربي، وأن نستفيد من نتائجها ودروسها، فالحكمة تقتضي أن نتعلم من تجارب الآخرين الناجحة بدلاً من انتظار سنوات طويلة لاكتشاف ما اكتشفوه قبلنا.

إن الحاجة اليوم ليست إلى استنساخ التجارب بشكل مباشر، وإنما إلى دراستها بعناية وتحليل آثارها على جودة التعليم ونسب النجاح الجامعي ومدى مواءمة مخرجاتها مع احتياجات سوق العمل.

فإذا أثبتت التجربة القطرية نجاحها في تحقيق التوازن بين المرونة الأكاديمية والمحافظة على جودة التعليم، فمن الضروري أن تدرس الكويت إمكانية تبني نموذج مشابه يتناسب مع خصوصية نظامها التعليمي واحتياجاتها الوطنية.

إن تطوير التعليم لا يعني التمسك بالنظم التقليدية لمجرد أنها مألوفة، كما لا يعني الانبهار بكل جديد دون تقييم موضوعي، فالإصلاح الحقيقي يبدأ من الجرأة في طرح الأسئلة الصحيحة: هل تخدم أنظمتنا الحالية مصلحة الطالب؟ وهل توفر له فرصاً عادلة للنمو وإعادة توجيه مستقبله عندما يكتشف قدراته الحقيقية؟

قد تكون مبادرة الجسر الأكاديمي في قطر تجربة تستحق المتابعة، وربما تمثل بداية لتحول أوسع في فلسفة التعليم في المنطقة، ويقوم عليها منح الطلبة فرصاً أكبر ومسارات أكثر مرونة ومستقبلاً لا تحدده قرارات مبكرة بقدر ما تصنعه القدرة والإرادة والاجتهاد.

في النهاية، تبقى جودة التعليم المعيار الأهم؛ فإذا نجحت التجربة في قطر وأثبتت بالأرقام والنتائج قدرتها على تخريج كفاءات مؤهلة وقادرة على المنافسة، فإن من الواجب علينا في الكويت ألا نتردد في دراسة تطبيقها؛ لأن الهدف الأسمى لأي نظام تعليمي تمكين أبنائه من تحقيق أفضل ما لديهم وفتح الأبواب أمام الطموح لا إغلاقها مبكراً ■

السياحة الهادفة

د. يوسف السند

إمام وخطيب بوزارة الشؤون الإسلامية بالكويت

لقد كانت تجربة ثرية غنية تحمل معاني الدعوة والسياحة المتميزة بهدف فيه من الإمتاع والتجديد والإبداع؛ حيث انطلقنا من سراييفو البلد المسلم العريق الذي يحمل ذكريات الحرب والتحدي والثبات والانتصار حيث المساجد الثابتة والمآذن الشامخة العبقة بالأذان الذي يؤكد معاني التوحيد والإسلام الخالد العظيم.

والتقينا بإخوة أكارم من مقدونيا حيث كان الحديث في مطعم من المطاعم الشعبية الجميلة في مدينة سراييفو، ودار الحديث حول أنشطة الدعوة الإسلامية في أوروبا.

وكانت رحلتنا السياحية الدعوية عبر سيارة يقودها أخ ماهر بالطرق له تجارب في السفر، حيث انطلق بنا إلى كوسوفا البلد المسلم الذي تحمَّل الكثير من زلزال البأساء والضراء للحفاظ على هويته المسلمة، ثم انتقلنا إلى صربيا حيث رأينا إخواننا المسلمين وزرنا بعضهم في بيته، وقد تُوّجت هذه الزيارة بمحاضرة في الكلية الإسلامية في صربيا.

ثم سرنا نحو ألبانيا البلد المسلم ذي الغالبية المسلمة الذي عانى البلاء من الشيوعية المجرمة، وقد استأذنا إمام مسجد بإلقاء خاطرة؛ فأذن لنا مشكوراً، وقد قام أحد الإخوة الألبان بالترجمة جزاه الله خيراً.

ثم انطلقنا إلى بلد جميل وهو الجبل الأسود أو مونتينيغرو، وعاصمته «بودغوريتسا»، حيث يطل على بحر جميل تتخلله مرتفعات جبلية رائعة الجمال، وقد لفت أنظارَنا مسجدٌ ذو قبة ذهبية فذهبنا إليه، فإذا هو قد بناه أحد المحسنين من دولة الكويت.

وهذا أستاذنا محمد أحمد الراشد يرحمه الله تعالى يحث الدعاة على السياحة الثقافية الواعية ويرشدنا إلى حقائق الميادين والهامات المتاحف ومواعظ السياحة فيقول: «وليكن الدعاة مثلي؛ أول ما أصل إلى مدينة أركض إلى متاحف الآثار، ومتحف التاريخ الطبيعي، والمتحف العلمي، والمتحف الحربي، وأذرع شوارعها وأسواقها ماشياً، حتى المقابر أزورها، أقرأ تاريخ المشاهير من شواهد القبور.

وهذه إسطنبول، وقفتُ طويلاً عند كل أبنيتها التاريخية وأسوارها، وتجولت في أوروبا ٥ مرات بالسيارة، ولذلك أعرفها شبراً شبراً، وحين كنت في إيطاليا ذهبت إلى جنوبها لأرى مدينة بومبي التي دمرها بركان فيزوف قبل ألفي سنة وترك فيها شيئاً عَجَباً.

ولما حججت أول مرة ذهبت إلى سوق عكاظ، واقتبست بعض المعاني عند سور الصين العظيم، واستلهت عاطفة في موضع مقتل طليعة المستعمرين ماجلان في جزيرة ماكتان في الفلبين على يد البطل السلطان المسلم لابو لابو».

ثم يواصل، يرحمه الله، في كتابه «منهجية التربية الدعوية» فيقول: «ووعي السلف لأهمية السياحة الهادفة كان أكثر من وعينا، ولذلك جعلوها في المنهجية التربوية، وما كانوا أهل مفاهيم رجعية مثلنا نقتصر على التلقين، ولذلك فهم الرازي صفة «السياحة» التي مدح الله بها المؤمنين في القرآن على ظاهرها، أي في قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١١٢).

فذكر أن أحد تفسيرات السياحة المقصودة أن المراد من السائحين طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم، وهو قول عكرمة.

ثم قال الرازي: وأقول: للسياحة أثر عظيم في تكميل النفس، لأنه يلقاه أنواع من الضر والبؤس، فلا بد من الصبر عليها، وقد ينقطع زاده، فيحتاج إلى التوكل على الله، وقد يلقى أفاضل مختلفين، فيستفيد من كل أحد فائدة مخصوصة، وقد يلقى الأكابر من الناس، فيستحقر نفسه في مقابلتهم، وقد يصل إلى المرادات الكثيرة فينتفع بها، وقد يشاهد اختلاف أحوال أهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى في كل طرف من الأحوال الخاصة بهم فتقوى معرفته، وبالجملة فالسياحة لها آثار قوية في الدين» (تفسيره ١٦٢/ ١٦).

ليتنا ننتبه إلى هذه السياحة الدعوية الإيمانية القرآنية الهادفة، متأملين ومتدبرين الآيات القرآنية التي تحث على السير في الأرض للاعتبار والتفكر كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ (الروم: ٤٢)، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

ويقول تعال أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (غافر: ٢١)، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: ٩).

والحمد لله رب العالمين. ■

حين تتقدم الولاءات الفرعية على المواطنة.. قراءة في تحديات التماسك الوطني الكويتي

د. سعيد النومس

أستاذ الفقه بقسم الدراسات الإسلامية ـ كلية التربية

تقوم الدولة الحديثة على مبدأ المواطنة المتساوية، حيث يتساوى جميع المواطنين أمام القانون في الحقوق والواجبات دون تمييز على أساس العائلة أو القبيلة أو المذهب أو التوجه الفكري، وقد أرست دولة الكويت هذا المبدأ دستورياً وقانونياً منذ نشأتها الحديثة، فالمواطنة الأساس الذي تنتظم من خلاله العلاقة بين الفرد والدولة.

غير أن المجتمعات لا تُبنى بالقوانين وحدها، بل تتأثر أيضاً بالتاريخ والثقافة والبنية الاجتماعية وأنماط التنشئة، ومن هنا تظهر في بعض الأحيان مظاهر العصبية والتكتلات والاصطفافات الاجتماعية والفكرية والمذهبية والقبلية، وهي ظواهر ليست حكراً على الكويت، بل توجد بدرجات متفاوتة في مختلف دول العالم.

وتنشأ هذه الانتماءات الفرعية بصورة طبيعية باعتبار الإنسان كائناً اجتماعياً يبحث عن الانتماء والأمان والدعم داخل دوائر الأسرة والعائلة والقبيلة والجماعة الفكرية أو الدينية، إلا أن التحدي الحقيقي يبدأ عندما تتحول هذه الانتماءات من إطار اجتماعي وثقافي مشروع إلى مرجعية تتقدم على المصلحة الوطنية أو تؤثر في معايير العدالة والكفاءة.

كما ساهمت التحولات السياسية والفكرية في المنطقة خلال العقود الماضية في تعزيز بعض مظاهر الاستقطاب، حيث امتدت تأثيرات الصراعات الإقليمية والأيديولوجية إلى داخل المجتمعات، وأنتجت في بعض الحالات ولاءات عابرة للحدود أو ارتباطات فكرية تتجاوز الإطار الوطني.

ومع ذلك، فإن القراءة الموضوعية للتجربة الكويتية تشير إلى أن الهوية الوطنية ما زالت قوية ومتماسكة في المحطات المفصلية، وقد تجلى ذلك بوضوح خلال الأزمات الكبرى التي مرت بها البلاد، وفي مقدمتها فترة الغزو العراقي، وما تبعها من حالة وطنية جامعة التف حولها جميع أبناء الكويت بمختلف انتماءاتهم.

وفي المقابل، لا يمكن إنكار أن بعض مظاهر الاستقطاب والعصبية قد تركت آثاراً سلبية على التماسك المجتمعي، وأضعفت في بعض الأحيان الثقة المتبادلة بين فئات المجتمع، كما أثرت على بعض الممارسات السياسية والاجتماعية، وأعاقت أحياناً ترسيخ مفهوم المواطنة بوصفه المرجعية العليا المشتركة للجميع.

ومن منظور التنمية المستدامة، فإن قوة الدول لا تتحقق فقط بالثروة أو الموارد الطبيعية، وإنما بقدرتها على بناء هوية وطنية جامعة تتسع للتنوع، وتحول الاختلاف إلى مصدر قوة لا سبب للانقسام؛ ولذلك، فإن المطلوب ليس إلغاء الانتماءات الاجتماعية والثقافية المشروعة، بل إعادة ترتيبها ضمن سلم الأولويات، بحيث تبقى المصلحة الوطنية والدستور والقانون المرجعية العليا التي يجتمع عليها الجميع.

كما أن تعزيز الكفاءة والعدالة وتكافؤ الفرص، وتطوير التعليم الوطني، وترسيخ قيم المواطنة، وتوسيع المبادرات المجتمعية المشتركة بين مختلف فئات المجتمع؛ كلها أدوات عملية تسهم في تعزيز الوحدة الوطنية وتقليل آثار الاستقطاب.

مستقبل الكويت واستدامة رفاهيتها واستقرارها يرتبطان بقدرتها على تعزيز الهوية الوطنية الجامعة، وترسيخ ثقافة المواطنة، وتحويل التنوع الاجتماعي والفكري إلى مصدر إثراء وقوة، فكلما ازدادت مساحة المشترك الوطني، وارتفعت مكانة المصلحة العامة فوق المصالح الفئوية الضيقة؛ ازدادت قدرة الدولة والمجتمع على مواجهة التحديات وبناء مستقبل أكثر استقراراً وازدهاراً. ■

د. عمر سالم المطوع

أكاديمي كويتي

أهل الكويت.. أهل المعروف

في زمن تتسارع فيه الأحداث، وتتزاحم فيه المواقف، وتتباين فيه الروايات، يجد الإنسان نفسه في مواجهة قلق خفي، سرعان ما يتحول -إن لم يضبط- إلى اضطراب يربك القلب، ويزعزع الثوابت، ويثقل العقل بتوقعات لا تستقر.

الهجرة النبوية.. أكثر من مجرد «تأريخ»

د. محمد عبدالله المطر

باحث في الفكر الإسلامي

ليست الهجرة النبوية مجرد حادثة تاريخية تمر علينا في مطلع كل عام هجري، ولا انتقالاً جغرافياً من مكة إلى المدينة فحسب، بل هي مرحلة فاصلة في بناء الإنسان والأمة والدولة، وفيها تجلت معاني الإيمان والصبر والتضحية وحسن التخطيط والثقة بوعد الله.. ونِعْم بالله.

لقد كانت الهجرة إعلاناً عملياً أن الدعوة إذا ضُيِّق عليها في مكان فإنها لا تنتهي، بل تبحث عن حال جديدة تنطلق منها، وكانت درساً في أن نصرة الدين لا تقوم بالأماني وحدها، بل بالإيمان الراسخ، والعمل المنظم، والأخذ بالأسباب، فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو المؤيَّد بالوحي خطط للطريق، واختار الصحبة الصالحة، وهيأ الدليل، وأخفى الأثر، ثم توكل على الله حق التوكل، وقد تفكرت في ذلك فوجدت هذا الأمر تحقيقاً لأركان العقيدة في الأقدار والتوكل وبذل الأسباب.

وفي الهجرة معنى عظيم من معاني الثبات؛ فقد ترك المهاجرون ديارهم وأموالهم وأهلهم ليس طلباً لدنيا، بل حفظاً لدينهم ونصرة لرسالتهم، كما ظهر فيها الوفاء والأخوة حين استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين، فصنعوا نموذجاً إيمانياً في النصرة والإيثار، لذلك مهما عظم الإنسان وطنه وهو مطلوب، ولكن لا يقلل من قدر مصاب الأمة وحالها عموماً ومنها فلسطين.

وكذلك أشير إلى أنه من أعظم دروس الهجرة أن بناء الأمة يبدأ من العقيدة، ثم الأخوة، ثم النظام، فقد انتقل المسلمون من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة البناء والتربية، ومن الدعوة المحاصرة إلى المجتمع.

إن ذكرى الهجرة ليست مناسبة للتهنئة المجردة، وإن كان ذلك مهماً، بل وقفة مراجعة: ماذا هاجرنا من المعاصي إلى الطاعة؟ ومن الضعف إلى العمل؟ ومن الفرقة إلى الوحدة؟ ومن اليأس إلى الثقة بوعد الله؟

وأشار صاحب «الظلال» يرحمه الله إلى أن حادثة الهجرة ليست مجرد ذكرى، وإنما مفهوم شمولي في الحياة والنفس فقال: «ولن نكون جديرين بأن نحتفل بيوم الهجرة إلا حين نرتفع بأرواحنا، وأعمالنا، وقيمنا إلى هذا المستوى الشامخ؛ قَدْر الهجرة النبوية الشريفة».

فاللهم كما جعلت الهجرة بداية عز وتمكين، فاجعل أيام أمتنا القادمة أيام هداية وثبات ونصرة ووحدة وعافية. ■

وليس الاضطراب إلا فقداً للطمأنينة؛ فحين تضطرب الرؤية، تتكاثر التساؤلات، وتتزاحم الظنون، ويغيب الميزان الذي يرجع إليه الإنسان في حكمه على الأمور.

وهنا تتجلى قيمة اليقين؛ لا كمعلومة تحفظ، بل كقوة تعاش، فاليقين علم جازم ينقشع عنده الشك، وتخفت فيه هواجس الظن، ويتحول إلى ثبات داخلي لا تزعزعه تقلبات الظروف.

وليس اليقين هروباً من الواقع، ولا تغافلاً عن الأخطار؛ بل هو أعمق وجوه الوعي، وأرسخ صور الثقة؛ انتقال من الخوف إلى التسليم، ومن التسليم إلى الفعل الواعي.

ويقوم هذا اليقين على أصل كلي؛ أن ما يجري في هذا الكون -على تعقده- محكوم بحكمة إلهية، لا يخرج عنها شيء، ومن هنا ينبثق ذلك السكون الذي لا يلغي الحذر، ولكنه يمنع الانهيار.

وإذا تزعزعت المستندات التي يعتمد عليها الإنسان -من مال، أو علاقات، أو حتى ثقته بنفسه- برز اليقين الإيماني ركناً أصيلاً، يعيد التوازن، ويحرك نحو المبادرة لا الانكفاء.

ومن أبلغ ما يؤصل هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «صنائعُ المعروف تقي مصارعَ السوءِ والآفاتِ والهلكات، وأهلُ المعروفِ في الدنيا همْ أهلُ المعروفِ في الآخرة»؛ إنها ليست وصية أخلاقية فحسب، بل سُنة جارية؛ فالمعروف رصيد يدخر للشدائد، وسبب يدفع به البلاء.

وإذا نظرنا إلى الكويت، وجدنا أن المعروف فيها ليس طارئاً، بل هو هوية ضاربة في العمق؛ قبل النفط وبعده، بذل وإحسان، لا يُنتظر عليه جزاء ولا شكور، وليس من المصادفة -في ضوء هذه السنن- أن تكون هذه البلاد قد شهدت لحظات من الحفظ والنصرة تتجاوز الحسابات، كما كان في أزمة الغزو.

إن استحضار هذه المعاني لا يدعو إلى الاسترخاء، بل إلى تصحيح الوجهة؛ من الخوف المشتت إلى اليقين الموجه، ومن رد الفعل إلى فعل واعٍ يتجسد في التوبة، والإصلاح، وتعزيز التماسك والوحدة الوطنية، والالتفاف حول قيادتنا والالتزام بالتعليمات، فلنجدد عهدنا مع الله، ولنكن كما كنا دوماً أهل عطاء عند الرخاء، وأهل ثبات عند الشدة.

حفظ الله الكويت، وشعبها، وقيادتها، وجعلها دار أمن ومعروف لا ينقطع. ■

مسؤولية الوالدين في تحصين الأبناء في عصر الإنترنت

فوزي أحمد العلي
إمام وخطيب بوزارة الشؤون الإسلامية – الكويت

أذكر قبل ٤٠ عاماً أن أحد المربين تحدث عن أهمية وقاية الأولاد من الأخطار وبث الوعي لديهم من التحرشات، فكان مما قال: إنه أشرك ابنه في نادٍ صيفي لتعلم السباحة واستغلال فراغ الصيف بما هو مفيد، وخوفاً عليه من التحرشات الجنسية جلس معه جلسة مصارحة وأخبره عن الأماكن الحساسة في بدنه والعورة، فعرفه بأسماء أجزائها، وأنها يجب ألا يراها أو يلمسها أحد، وعلمه ألا يختلي أو يذهب لأماكن مغلقة مع أحد، وماذا يفعل إذا حاول أحد أن يلمس العورة بأن يحاول الهرب والصراخ بأعلى صوته لحماية نفسه.

إن فعل هذا المربي آنذاك كان ينبع من استشعار المسؤولية تجاه أولاده، وأنهم أمانة لديه امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُم راعٍ ومَسؤولٌ عن رَعِيَّتِه» (صحيح البخاري)، فالأب راعٍ يجب عليه حماية أبنائه من الأخطار التي تضرهم في دنياهم ودينهم.

وفي عصرنا الحاضر، ومع تقدم التكنولوجيا ودخول الإنترنت والهواتف الذكية والأجهزة اللوحية إلى البيوت وقربها من أولادنا حتى غدت في أكثر الأحيان جزءاً من حياتهم، فإن الآباء والمربين غدوا أمام تحديات أكبر بكثير مما هو في السابق، والمسؤولية أصبحت على الوالدين أعظم بمراحل؛ فمع انتشار وسائل التواصل وتطبيقات الأطفال والمنشورات والمقاطع والفيديوهات الموجهة لبث الأفكار المسمومة لتدمير الأولاد والمراهقين برزت التهديدات والأضرار بشكل أعظم ومخيف.

وتنوعت هذه الأخطار؛ فمنها التحرشات الجنسية التي يتحايل فيها المتحرشون بانتحال شخصيات وهمية صغيرة ويقومون بطلب صور حساسة من الأطفال للابتزاز أو الإساءة الجنسية، أو يقوم الأطفال بما يسمى التنمر الإلكتروني؛ حيث يشعر الطفل بالإهانة والإساءة، ويصل به الأمر إلى تمني الموت والانتحار، ويؤدي لتدمير وتحطيم نفسية الطفل، هذا فضلاً عن مشاركة المعلومات والخصوصيات التي لا يستوعب أخطارها الأطفال والمراهقون، وغيرها من الأخطار خاصة تلك التحديات التي أودت بحياة عشرات الأطفال مثل تحدي كتم النفس لأطول وقت، أو شرب المواد الضارة، أو غيرها من التحديات الخطيرة.

إن هذه الأخطار وغيرها مما هو عظيم كتدمير أخلاق الأطفال والشباب ونشر الأفكار الفاسدة والقيم الشيطانية -مثل التي شاهدناها في بعض القنوات والمقاطع التي تشرعن اختيار الطفل لجنسه وتغييره كما يريد- يجعلنا أمام مسؤولية عظيمة تتطلب منا نشر الوعي للآباء والأمهات بالأسباب التي تحمي أبناءهم وبناتهم من هذا الخطر الداهم، فمن المعيب وغير اللائق أن يكون الوالدان غير مدركين لخطورة الإنترنت على صحة ونفسية وعقل ودين أبنائهم.

وهذه الكلمات ليست لاستيعاب الأسباب التي تحصن الأبناء من هذه الأخطار، بل للتنبيه وفتح الأذهان وإدراك أهمية الاجتهاد في معرفة هذه الأسباب وتطبيقها لحماية الأبناء، وأن يعلموا أن هناك وسائل عديدة لمحاربة والتقليل من هذه الأخطار؛ فقد سُنّت تشريعات لحماية الأطفال والمراهقين في كثير من دول العالم، كما أصدرت شركات كثيرة برامج لحماية الأطفال سواء من قبل شركة جوجل وشركة آبل (أبرز الشركات في هذا المجال)، وكذلك فعلت مايكروسوفت، ويمكن للآباء تجربة بعضها فهي مجانية، واختيار أنسبها لحماية الأبناء وذلك لتفعيل الرقابة الأبوية.

وكذلك يتعلم الآباء مهارات بناء الثقة مع الأبناء لضمان المصارحة وعدم وقوعهم ضحايا لأصحاب الطمع والمتربصين الإلكترونيين، والأهم من ذلك كله أن يدرك الأطفال أنك بجانبهم لمعاونتهم وحمايتهم ممن يستترون خلف الشاشات، وأنك أحرص الناس عليهم.

ولا شك أن الإنترنت سيف ذو حدين؛ فالأطفال يستخدمونه في الدراسة عن بُعد وفي كثير من الفوائد كالبرامج والألعاب والمسابقات المفيدة، ولكن قد يكون سلاح دمار إذا أهملناه.

إن الأمور التي ذكرناها ليست نقاطاً نظرية، بل هي وقائع يومية تتجدد مع كل ساعة أمام الأجهزة، وهي تستدعي من الآباء والمربين اليقظة الدائمة التي تحقق المطلوب قبل أن يقع الندم ولات ساعة مندم.

كما تستدعي زرع الوازع الديني في نفوس الأبناء الذي هو السد الرئيس تجاه هذه الأخطار، فـ«ما مِن مَولودٍ إلّا يولَدُ على الفِطرةِ» (صحيح البخاري، ومسلم)، فكيف نحافظ عليها عند الأبناء ونحميهم من شياطين الإنس والجن الذين يخرجونهم منها؟ وهل سيكون لهذا الأمر أولوية في حياتنا؟ نسأل الله ذلك وأن يحفظ أولادنا من شر كل ذي شر.

وفي الختام، نرجع إلى ذلك المربي الذي ساهم في حماية ابنه بتوجيهات يسيرة ربما كانت سبباً لحفظ الله له، فلا تبخل على أبنائك؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

تفرق الأمة عقوبة إلهية

د. عبدالحميد جاسم البلالي

داعية، رئيس مجلس إدارة جمعية «بشائر الخير»

كان آخر عهد الأمة بشيء من اجتماعها تحت خليفة واحد عام ١٩٢٤م، وهو تاريخ إلغاء الخلافة العثمانية، بالرغم أن مفهوم تجمع الأمة تحت راية واحدة وخليفة واحد وجيش واحد اعتراه الكثير من التضعضع منذ سقوط الخلافة العباسية، ولكن استمرار الشكل العام لتجمع الأمة كان مقبولاً إلى حد ما، حتى سقوط الدولة العثمانية، ثم تبعتها مؤامرة «سايكس بيكو» بعد الحرب العالمية الثانية، التي قسمت العالم العربي والإسلامي إلى دول كل منها تابع للدول الكبرى، وحتى بعد تحررها تأصل هذا التفرق بأن جعل كل دولة لها علمها وجيشها وحدودها، ولكن نادراً ما تساءل البعض: هل هذا التفرق جاء مصادفة، أم أنه عقوبة إلهية بسبب ابتعاد الأمة عن دينها؟

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾(الأنعام: ٦٥)؛ يقول الإمام السعدي: هو تعالى قادر على إرسال العذاب إليكم من كل جهة، ﴿مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾؛ يخلطكم، ﴿شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾؛ في الفتنة، وقتل بعضكم بعضاً، فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك.

ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب، ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف، ولكن عاقب من عاقب منهم، بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون، ويشعر بها العالمون.

في هذه الآية دروس وعبر، منها:

أولاً: جميع الخلق بين يدي الله، يفعل بهم ما يشاء، إن يشأ يعذبهم أو إن يشأ يعفو عنهم.

ثانياً: يذكر في هذه الآية ٤ أنواع من العقوبات، التي هي:

١- ما يأتي من السماء من أمطار أو حجارة أو صواعق وكسف، وغيرها.

٢- أو من الأرض، سواء الزلازل والفيضانات، والخسف، والبراكين، وغيرها.

٣- نوع من العقاب قد لا يشعر به الكثير، إنه نوع من أنواع العقوبة الإلهية؛ ألا وهو «يلبسكم شيعاً»؛ أن تختلط عليكم الأمور وتختلفون وتضطربون.

كما نقل الإمام الطبري عن ابن زيد في قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾: «الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف، والأهواء، وسفك دماء بعضهم بعضاً؛ فيكونون فرقاً كثيرة مشتتين، والتفرق عذاب وضعف؛ ما يسهل على العدو التحكم بكم، واستغلال بعضكم لضرب بعض»، وهذا واضح جلي في زماننا هذا، فقد غذى قتلة الأنبياء هذا التفرق، وشجع عليه، فصار من الصعب اجتماعهم على ما ينفعهم.

٤- أما العقوبة الرابعة: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾؛ يقول الإمام الطبري: بقتل بعضكم بيد بعض، والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح فيقتله به: «قد أذاق فلان فلاناً الموت»، و«أذاقه بأسه»، وأصل ذلك من ذوق الطعام؛ وهو يطعمه، ثم استعمل ذلك في كل ما وصل إلى الرجل من لذة وحلاوة، أو مرارة ومكروه وألم.

وفي التاريخ المعاصر للمسلمين خير دليل على ذلك، من حروب كثيرة بين المسلمين ذهب فيها الملايين من المسلمين.

عقوبة التفرق

ثالثاً: عقوبة التفرق وقتل بعضهم لبعض، ولهذا التفرق أسباب ذكرها د. يوسف القرضاوي في مقالة له في مجلة «المجتمع»، (العدد (١٤٩٣)، ٩ المحرم ١٤٢٣هـ/ ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٢م، ص٥٩)، تحت عنوان «عوامل تفرق الأمة الإسلامية»، نلخصها فيما يلي:

١- ظهور العصبيات التي فرقت بين الأمة، فالأمة الإسلامية كانت تعيش تحت مظلة العقيدة الإسلامية والأخوة الإسلامية؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، بعد هذه المظلة العقدية التي كانت تجمع الأمة ظهرت عصبيات شتى؛ قومية وعنصرية، ووطنية وإقليمية، ولغوية.

٢- المذاهب والأفكار والمبادئ المستوردة، فبعدما كانت الأمة تحكم الشريعة ولها مرجعية واحدة، أصبحت الآن تحتكم إلى أشياء أخرى، وهذه جعلت جماعة يتجهون إلى اليمين، وجماعة يتجهون إلى اليسار، وجماعة يتجهون إلى الشرق، وجماعة إلى الغرب.

٣- اختلاف الولاءات حتى مع اختلاف المستوردات، تنوعت الولاءات بعد أن كان الولاء كله لله ولرسوله والمؤمنين.

٤- الأنانيات والأهواء المسيطرة، جعلتهم يؤثرون مصالحهم الشخصية، وأن يكون لهم مكان مستقل عن غيره، ولو كان في ذلك ضياع الأمة في النهاية.

رابعاً: ومن دروس الآية أن الله تعالى قد بين بأن التفرق عقوبة من هذه العقوبات، ولكنه أيضاً ينتج عنه عدة عقوبات من أبرزها الفشل، وتحكم أعداء الأمة بالمسلمين، حيث ذكر في سورة «الأنفال» قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

إن التفرق الذي أصاب الأمة منذ سقوط الخلافة لم يحدث مثيلاً له في أي عصر من عصور الإسلام، نعم حدث تفرق في عدة عصور مضت، ولكن التفرق الذي نعيش فيه ليس له مثيل، فنحن الآن ٥٧ دولة إسلامية، لكل دولة علم وجيش وحدود ودستور، وهذا يبين مدى العقوبة الإلهية لهذه الأمة بسبب ابتعادها عن منهجه، وهذا يذكرنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام مسلم: «سألتُ ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدةً؛ سألتُ ربي أنْ لا يُهْلِكَ أمتي بالسَنَة، فأعطانيها، وسألتُهُ أن لَا يُهْلِكَ أمتي بالغرَقِ، فأعطانيها، وسألْتُهُ أن لَا يَجْعَلَ بأسَهم بينَهم، فمنَعَنيها».■

ماذا يقول «جيل زد» عن نفسه؟ وما أكثر ما يزعجهم في خطاب الكبار؟

تحقيق - حسن القباني:

بين الانتقادات المتكررة والإشادات المبالغ فيها، يقف «جيل زد» في قلب جدل واسع بالبيوت العربية والمسلمة حول شخصيته وقيمه وطريقة تفكيره؛ فبينما يراه البعض جيلاً تجاوز الحدود ورقمياً بلا حد، يرى هو نفسه أنه جيل نشأ في عالم مختلف، فرض عليه تحديات وأساليب حياة لم تعرفها الأجيال السابقة.

في هذا التحقيق، تستمع «المجتمع» إلى أصوات بـ«جيل زد» لنعرف كيف يصفون أنفسهم، وما أكثر ما يزعجهم في خطاب الكبار، خاصة ما يتعلق بالأحكام المسبقة ولغة الوصاية، مع التقاط أطراف الحديث مع ذويهم ومتخصصين من أجل الوصول إلى رؤية متوازنة، وتتراوح أعمار أفراد «جيل زد» في عام ٢٠٢٦م، بين ١٤ و٢٩ عاماً، حيث ينتمي لهذا الجيل الأشخاص المولودون بين عامي ١٩٩٧ و٢٠١٢م.

في حديثه لـ«المجتمع»، ينطلق الطالب الأزهري ابن «جيل زد» أحمد محمد بدوي (١٥ عاماً) من حيرة قائلاً: نحن نريد أن نعرف هل نحن على صواب أم لا؟ وهل نحن جيدون أم مدللون كما يقال أحياناً؟ أنا أشعر أن هذا العصر أصبح مختلفاً كثيراً عن الماضي، لذلك عندما يقول بعض الناس: إن جيلهم كان أفضل، أرى أن الزمنين مختلفان بطبيعتهما، فقد أصبح عصرنا أكثر مادية، كما أن التطور السريع في التكنولوجيا والإنترنت غير كثيراً من أسلوب الحياة.

وحول رسالته للكبار وما يراه منهم،

«جيل زد»: نرحب بخبرات الكبار.. لكن الحياة تغيرت ويجب التفرقة بين الثوابت والمتغيرات

آباء: الحكمة والمصاحبة والحوار مفاتيح التعامل مع الأبناء.. ونموذج سيدنا إبراهيم ملهم

يرى أن الأفضل أن يتحدث الكبار معهم وهم متفهمون للتغيرات التي حدثت، ومقدرون للفروق بين الزمنين، خاصة أن وتيرة التغيير اليوم سريعة جداً، بخلاف الماضي حين كانت الحياة أكثر هدوءاً من حيث الأحداث والتطورات، مؤكداً أنه من المهم أن يحاول الكبار الاستماع إلى جيلهم وتقدير الاختلاف بين العصرين، لأنهما مختلفان بالفعل، وبالتأكيد لا يمكن تعميم الأحكام على الجميع، وفق رأيه.

على الجانب الآخر، يلتقط طرفَ الحديث والده المُعلم محمد بدوي، فيقول لـ«المجتمع»: ما أؤمن به وما أفعله، ينطلق من أنه يجب على الآباء التعامل مع الشباب في هذه السن بأسلوب المصاحبة؛ يعني أن تصاحب ولدك وتحتويه وتشاوره في الأمر، وتتعرف على آرائه وطريقة تفكيره، وذلك بكثرة الجلسات الحوارية معه، وأن توجهه للصواب بأسلوب حكيم.

ويضيف أنه يجب على الوالد أن يُعدّ أبناءه في هذه السن لأن يتحملوا مسؤولياتهم في كل مجالات الحياة،

ويعطيهم الدعم المادي والمعنوي والعلمي والتربوي، وكل ذلك بأسلوب ودود.

تجربة الأب والمتخصص

نموذج آخر من «جيل زد» هو الطالب في إحدى مدارس اللغات مالك عماد، يقول لـ«المجتمع»: نحن جيل مختلف عن الأجيال السابقة؛ لأن أشياء كثيرة تغيرت وأصبحت طبيعية اليوم، لذلك أرى أن طريقة التعامل معنا يجب أن تراعي اختلاف الزمن والظروف، وأكثر ما يزعجني أن بعض الناس يعتقدون أنهم دائماً على صواب ويحاولون فرض وجهة نظرهم على الآخرين.

ويؤمن بأن تبادل الخبرات بين «جيل زد» والكبار مهم جداً، لأن لديهم تجارب ومعارف قد لا ينتبه إليها، لكن في الوقت نفسه، يحب التفرقة بين الثوابت والمتغيرات، موضحاً أن القيم الأخلاقية والرحمة والعفو وأمثالها ثوابت لا تتغير، بينما تتغير أمور أخرى مع الزمن مثل التعليم ووسائل التنقل وأنماط الحياة، ولذلك يتمنى أن يفهم الكبار طبيعة «جيل زد»، وأن يتيحوا له التعبير عن تجربته ورؤيته، مع الحفاظ على القيم والثوابت والاستفادة من خبرات الأجيال السابقة.

على الجانب الآخر، يقف والده عماد الحكيم، وهو مستشار نفسي وأسري، مدير أكاديمية للاستشارات والتدريب، حيث يحكي عن زاوية معقدة تربط بين كونه أباً لأحد أبناء «جيل زد»، وكونه مسؤولاً عن برامج الدعم النفسي لهذا الجيل، حيث يقول لـ«المجتمع»: إن الحديث عن «جيل زد» غالباً ما يقع بين طرفين؛ المبالغة في تمجيده، أو المبالغة في انتقاده، بينما الحقيقة أن هذا الجيل نشأ في ظروف مختلفة تماماً عن الأجيال السابقة.

ويوضح أن التحدي الأكبر الذي يواجه كثيراً من أبناء هذا الجيل لا يتعلق بضعف القدرات أو نقص الذكاء، بل بالعيش وسط كم هائل من المعلومات والخيارات والمقارنات؛ ما يجعل الوصول إلى المعرفة أسهل من أي وقت مضى، لكنه يجعل الوصول إلى الذات وفهمها أكثر صعوبة، مشيراً إلى أن كثيراً من الشباب لا يعانون من قلة الفرص بقدر ما يواجهون تحدي كثرتها، وهو ما يفسر أحياناً حالة الحيرة

الحكيم: «جيل زد» ليس استثنائياً ولا تافهاً بل نتاج ظروف مختلفة يجب التعامل معها بحكمة

خضر: التعميم السلبي والمقارنات المستمرة أكثر ما يزعج «جيل زد».. والقدوة مفتاح التأثير

والتردد وسرعة تغيير الاتجاهات، مشيراً إلى أن بعض الكبار يتعاملون مع نتائج هذه الظواهر دون التوقف عند أسبابها وظروف نشأتها.

ويؤكد الحكيم أن «جيل زد»، رغم ما قد يظهر لدى بعض أفراده من اندفاع أو تأثر سريع بـ«الترندات»، يمتلك في المقابل قدرة كبيرة على التعلم والوصول إلى المعلومات والتأثير، فضلاً عن حساسية أعلى تجاه الزيف وعدم القناعة بالاستمرار فيما لا يؤمن به، مشدداً على أن «جيل زد» ليس جيلاً تافهاً كما يصفه البعض، ولا جيلاً استثنائياً بلا أخطاء كما يراه آخرون، بل هو جيل يبحث عن هويته وسط ضوضاء غير مسبوقة، ويحتاج إلى الفهم والحوار والدعم ليصبح أكثر قدرة على النضج وتحمل المسؤولية.

التواصل والحب والحوار والقدوة

ومن زاوية الفتيات، ترى همس، وهي من «جيل زد»، في حديثها لـ«المجتمع»، أن جيلها مختلف عن الأجيال السابقة، ولديه وعي بالأفكار والقضايا الاجتماعية والنفسية، ويميل إلى التفكير الكثير قبل أي قرارات مهمة.

وتضيف أن وتيرة الحياة السريعة والتطور التكنولوجي انعكسا على مستوى الصبر وطريقة التعامل مع الوقت لدى كثير من أبناء جيلها، فيما تتفق مع بعض أبناء جيلها على أن أكثر ما يزعجها من الكبار هو «التعليق الكثير على جيلها».

من جانبها، ومن خلال المتابعة الميدانية والحوارات مع الشباب والفتيات من هذا الجيل، تنصح د. منال خضر، المستشارة التربوية والأسرية الجميع، بقولها: كونوا لهم كإبراهيم لإسماعيل، ويعقوب ليوسف، وتعلموا كيف وصلت العلاقة والصداقة والاحترام بين الأب وابنه، ولا تنافسوا الهاتف على وقت أبنائكم، بل نافسوا المحتوى الرقمي على قلوبهم، خصصوا لهم وقتاً للحوار، شاركوهم اهتماماتهم، اسألوهم عن آرائهم، وامنحوهم مساحة للتعبير، فـ«جيل زد» لا يرفض التوجيه، لكنه يرفض أن يُعامل وكأنه لا يفهم أو لا يملك رأياً.

وتوضح أن مفتاح التأثير في هذا الجيل ليس السلطة وحدها، بل العلاقة الدافئة القائمة على الحب والحوار والقدوة، فيما حذرت من محاولات جعل أبناء «جيل زد» نسخة من الآباء، مؤكدة أهمية فهم العالم الذي يعيشون فيه، حيث إن الأبناء اليوم لا يحتاجون فقط إلى من يوجههم، بل إلى من يصغي إليهم ويحاورهم ويمنحهم الثقة، وكلما ازداد شعورهم بالاحترام والتقدير؛ ازداد استعدادهم للاستماع والتأثر.

وتشير د. خضر إلى أن نشأة «جيل زد» بالكامل في العصر الرقمي انعكس بوضوح على طريقة تفكيره وتواصله ونظرته للحياة، موضحة أن أبناء هذا الجيل لا يرون أنفسهم جيلاً متمرداً أو كسولاً كما يتصور البعض أحياناً، وإنما جيل واعٍ، سريع التعلم، ومنفتح على العالم.

وتضيف أن «جيل زد» يبحث عن المعنى فيما يفعله، ويولي اهتماماً كبيراً بالصحة النفسية، ويتمتع بقدرة عالية على التكيف مع التغيرات السريعة، كما يفضل الحوار والإقناع على التلقين، ويحرص على أن يسمع صوته وتحترم آرائه واختياراته، مشيرة إلى أن أكثر ما يزعج أبناء هذا الجيل التعميم السلبي عليهم، والمقارنات المستمرة بالأجيال السابقة، والتقليل من الضغوط النفسية التي يوجهونها، إلى جانب عدم الاستماع الحقيقي لهم واختزالهم في علاقتهم بالتقنية، مؤكدة أن «جيل زد» لا يرفض خبرات الكبار، بل يتطلع إلى علاقة تقوم على الفهم والشراكة، بما يسمح بالاستفادة من حكمة الأجيال السابقة وطاقة الشباب في بناء المستقبل.■

أبناء السحابة.. سيكولوجية الجيل الرقمي!

نور عبدالرحمن النمر
كاتب بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية

منذ عهد ليس ببعيد، نشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عَوَّدَه أبوه، مفترشاً العشب، مُتلَّحفاً الفضاء، زاهداً فيما سيأتي، ناسياً ما قد مَضى، غير أن هذا سرعان ما تبدل وتغير بنشأة جيل بأكمله سابحاً في فضاء غير ذلك الذي تلحف سابقوه به، تتلقفه فيه يد العناية الخوارزمية، ولا تطعمه من قطافها إلا ما يشتهي، لينتهي به الأمر مفترشاً الأرائك والأسرّة، لا يطيق لما يشاهد فراقاً، ولا يبغي عنه حولاً.

وكما للزمان مسرات وأحزان، فله كذلك لحظات لا يكون بعدها كما كان قبلها، كلحظة تحول المكتوب يدوياً إلى المطبوع، وتحول ذلك المطبوع إلى مسموع إذاعياً، ومن ثم مرئي تَلْفزياً، إلى اجتماع ذلك كله في جهاز لا يتعدى حجمه حجم الكف التي تحمله، الذي حوى من التطبيقات المعروفة بتطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي ما أعاد تشكيل طبيعة العلاقات الاجتماعية، بل وعلاقة الإنسان بذاته، انتهاء بتأثيره على طبيعة العقل البشري.

وفيما يلي محاولة لقراءة هذه التأثيرات في ضوء أهم ما كُتب عنها من أبحاث وكُتب، مع وقفة عند ما يخص السياق العربي على وجه التحديد.

في عام ١٥٦٠م، رسم بيتر بروغل واحدة من أكثر ألعابه شهرة، المعروفة باسم «ألعاب الأطفال»، وتُظهر أكثر من ٢٠٠ طفل يمارسون عشرات الألعاب التي يَعُدُّها علماء النفس شرطاً لا غنى عنه لاكتمال نمو الجهاز العصبي عند الصغار؛ كما في دراسة كلية الطب التابعة لجامعة هارفرد المَعْنْوَنة «اللعب الحر يشكل دماغ الطفل ويمنحه فوائد مدى الحياة».

فمن خلال اللعب الحر الذي يضع قواعده الأطفال المنخرطون فيه دون غيرهم بعيداً عن قيود الزمان والمكان وتوجيهات الأشخاص البالغين، يتعلّم الطفل تقدير الأخطار، وقراءة نبرات الآخرين، ومهارات التفاوض، ويتعلم كيفية التعامل مع الخسارة، وأنها لا تدوم كما لا يدوم النجاح.

ويُعلمه الأطفال أنهم كما الكبار يكرهون الخاسر المتحجج كذلك يكرهون الناجح المتبجح، ومن هنا يبدأ الطفل في مراعاة غراس شجرة مهاراته الاجتماعية التي يقضي باقي عمره في جني قطافها.

وقد بين عالم النفس الأمريكي جوناثان هايدت، في كتابه «الجيل القلق»، أن هذا الشكل من اللعب بدأ يتقلّص تدريجياً منذ ثمانينيات القرن الماضي بفعل نزعة الحماية الزائدة عند الآباء -خصوصاً في الولايات المتحدة- بسبب كثرة حالات الاختطاف للأطفال في تلك الفترة.

إلى أن ظهر ما سماه «إعادة التشكيل الكبرى للطفولة» بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٥م، حين انتشر الهاتف الذكي بكثافة وأصبحت منصات التواصل جزءاً لا يتجزأ من حياة المراهقين، ويذهب هايدت إلى أن تزامن

هذين الأمرين؛ كبح جماح الأطفال في العالم الحقيقي، وإطلاقها بلا حدود في العالم الافتراضي، هو ما يفسّر الارتفاع الحاد في معدلات القلق والاكتئاب وإيذاء النفس لدى «جيل زد»، وهم من ولدوا بين عامي ١٩٩٧ و٢٠١٢م.

وقد سبقت إلى نتيجة مشابهة الباحثة الأمريكية جين تونج في كتابها «الجيل آي»؛ حيث تتبّعت بيانات استطلاعات أمريكية واسعة لتُظهر أن من قضوا مراهقتهم كاملة في عصر الهاتف الذكي يقضون وقتاً أقل في التفاعل المباشر مع أصدقائهم، وأكثر عزلة وقلقاً من الأجيال السابقة، رغم أنهم في الوقت نفسه أكثر تسامحاً وأقل ميلاً إلى السلوكيات الخطرة التقليدية كتعاطي الكحول أو القيادة المتهوّرة.

والمفارقة عند تونج أن هذا الجيل الأكثر أمناً بمقاييس السلوك التقليدية، هو ذاته الأكثر هشاشة بمقاييس الصحة النفسية، وكأن الخطر لم يختف، بل تغيّر مكانه فحسب؛ من الشارع إلى الشاشة.

إعادة تشكيل الهوية

لا يدرك الإنسان إمكانية تسرب هوية الغير إلى فكره وثقافته دون وعي أو دراية منه، فالمفاهيم التي نتبناها اليوم عن أمور كالنجاح والفشل، والعلاقات الاجتماعية لا أقول هي مشوبة بالفلسفة الغربية، بل متشبعة بها خصوصاً النظرة البراجماتية للحياة المتجسدة في المصلحة الفردانية التي لا تعلوها مصلحة كما في فلسفة ويليام جميس، وجون دوي، وأن هذه الفلسفة تشربناها دون وعي من المقاطع التي نشاهدها ونعيد نشرها لما هو في نظرنا من الناجحين، وما اعتبرناه كذلك إلا لما اُعتبر بمقاييس الحياة المادية كذلك.

أضف إلى ذلك، قياس النجاح الاجتماعي بالشهرة وعدد المتابعين، وانحطاط خِلقة الشخص في عين نفسه عند مقارنتها بغيره، وتحوله من شخص عادي في الحياة اليومية إلى شخص اعتباري في صفحات وسائل الاجتماعي، أو كما أسماه الفيلسوف الكوري الألماني بيونغ-تشول هان «ذات الإنجاز»؛ وهو الشخص الذي يتفانى في عرض ذاته وتحسينها وقياس أدائها بصورة مستمرة، أمام جمهور لا يُرى وفي كثير من الأحايين لا يعبأ، بل المتفاني في نيل رضاه لا يدري أنه مجرد لحظة عابرة بين وضع الإبهام على الشاشة ورفعه عنها.

معدلات القلق لدى «جيل زد» ارتفعت بعد انتشار الهاتف الذكي وأصبحت منصات التواصل جزءاً من حياتهم

التطبيقات الإلكترونية تصميم مقصود تؤدي دورها بفاعلية وتجني لأصحابها المليارات وتسرق من الشباب أعمارهم

تأتي عن هذا كله وغيره أنه نشأ بين أظهرنا جيل تربى على غير ما تربينا عليه، منتمياً لثقافة مغايرة، مستورداً منها حلوها ومرها بما يشمله ذلك المر من أمراض نفسية ما كنا ندري عنها حتى هبت علينا الرياح الغربية فأصابت بعدواها كل من استنشقها مفتوناً بعبقها.

ولم يقتصر أثر هذا التحول على الهوية، بل بلغ صداه طريقة التفكير نفسها، ففي كتابه «السطحيون»، استعار نيكولاس كار من علم الأعصاب مفهوم «المرونة العصبية»؛ ومفادها أن العقل البشري يعيد تشكيل نفسه ووصلاته العصبية بصورة دورية، وأن الوصلات العصبية التي تستعمل بصورة دورية تغدو أكثر قوة، والعكس بالنسبة للتي لا تستخدم، فالقراءة المتأنية لكتاب تُدرب العقل على التدرج في التفكير، والاستيعاب على مهل، وبنقيض ذلك يأتي التصفح، بما يحمله من روابط متفرّعة وإشعارات متلاحقة وإعلانات متطفّلة، فينتهي الأمر بالوصلات العصبية أن تعتاد نمط المسح السريع للمعلومة، والانتقال الدائم من موضع إلى غيره لتنسى كليهما أثناء انتقالها إلى ثالث، وبالتالي لن تستطيع الوصلات العصبية التي اعتادت نمط التصفح لن تسطيع مع القراءة المتأنية صبراً.

أبناؤنا في الوطن العربي

أظهرت دراسات عربية أن الشباب العربي لا يستخدم منصات التواصل لمجرد التسلية أو متابعة الأخبار، بل بات يوظّفها بصورة متزايدة في بناء صورته عن نفسه وعن هويته الجماعية، إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يربطون نمط استخدام هذه المنصات بكيفية تشكّل الهوية الوطنية والثقافية عند الشباب.

وفي المقابل، تكشف مؤشرات استخدام التطبيقات في عدد من البلدان العربية عن نسب مرتفعة جداً من الاستخدام اليومي لتطبيقات كـ«واتساب» و«فيسبوك» و«إنستجرام» و«تيك توك»، خصوصاً في الفئة العمرية بين الثامنة عشرة والرابعة والثلاثين؛ وهذا يعني أن ما ذكرناه آنفاً ليس بأجنبي علينا، بل أبناؤنا يعيشون نسخة مشابهة منه، غير أن الفارق الجوهري هو البنية الأسرية والدينية والاجتماعية العربية، التي أبقت التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعية مقيدة إلى حد ما، ولكن لا ينبغي التعويل عليها ولا الاكتفاء بها.

ليس ما كتبناه بنظرة متشائمة، وإنما هو سرد لوقائع وحقائق أبينا فيها أن نحيل ذلك التحول المهول في نمط حياة أبنائنا إلى التعِّلات والمقادير، خصوصاً مع طغيان النبرة التفاؤلية عند نقاش هذا الموضوع التي ترى في كل تقنية جديدة تقدماً غير مشروط للإنسانية، وما يخيل للناظر إليه أنه واقع لا مفر للعيش فيه، وتذوق حلوه وتجرع مُرِّه، ينسى أو يتناسى أن هذه التطبيقات التي بين أيدينا هي في الحقيقة تصميم مقصود، تؤدي دورها بكل فاعلية، وتجني لأصحابها المليارات، وتسرق من مستخدميها أغلى ما يملكون؛ أعمارهم. ■

5 أحداث عالميـة كبرى شكّلت وعي «جيل زد»

تقرير- جمال خطاب:

يتشكل الوعي الإنساني من رحم الأحداث التاريخية الكبرى، فالأحداث الكبرى هي التي تصبغ الأجيال المتعاقبة بصبغات مختلفة، ففي بداية القرن العشرين، نشأ ما يسمى بالجيل الأعظم (١٩٠١ – ١٩٢٧م) من رحم الحرب العالمية الأولى ثم الكساد الكبير متبنياً قيم التضحية، وتبعه الجيل الصامت (١٩٢٨ – ١٩٤٥م) الذي تميز بالحذر والعمل الدؤوب لإعادة الإعمار، ثم جاء جيل طفرة المواليد (١٩٤٦ – ١٩٦٤م) الذي عاصر الازدهار والحرب الباردة، وهو الذي أشعل ثورة ثقافية واجتماعية، قبل أن يظهر جيل «إكس» (١٩٦٥ – ١٩٨٠م) الذي اتسم بالاستقلالية والتشكك في السلطة بالتزامن مع سقوط جدار برلين.

ثم جاء «جيل الألفية» (١٩٨١ – ١٩٩٦م) مع نهاية القرن العشرين، وهو الذي عاصر ولادة الإنترنت وصدمة أحداث سبتمبر وسط أزمات اقتصادية متلاحقة، وفي بداية الألفية (١٩٩٧ – ٢٠١٢م) جاء «جيل زد»، وهو أول جيل رقمي بالكامل، تفتحت عيونه ووعيه على شاشات الهواتف والأزمات الكونية دون رقابة، وهذا هو الذي هيأه للتحدي وقيادة التغيير، بعد أن شكل كتلة حرجة أكثر راديكالية وتشككاً في المؤسسات التقليدية، وأشد مرونة ومطالبة بالتغيير الهيكلي للنظام الدولي.

وفيما يلي أهم ٥ منعطفات كبرى شكلت وعي «جيل زد» وصاغت نظرته المتمردة للعالم:

١- «طوفان الأقصى» (٧ أكتوبر ٢٠٢٣م).. سقوط السردية الكاذبة وزلزال الوعي الغربي:

إذا كان هناك حدث واحد عزل «جيل زد» تماماً عن المنظومة الإعلامية والسياسية التقليدية في الغرب والشرق، فهو معركة «طوفان الأقصى» والحرب على غزة، هذا الحدث لم يكن مجرد جولة صراع أخرى بين الحق الفلسطيني والباطل الصهيوني الذي يقدم للمواطن الغربي على أنه الحق الخالص، بل كان بثاً حياً ومباشراً لحرب إبادة وصلت إلى هواتفهم دون فلاتر عبر منصات مثل «تيك توك» و«إنستجرام».. وغيرهما.

هنا وقع الزلزال الرقمي، فقد أحدثت هذه الحرب فجوة جيلية غير مسبوقة في تاريخ الولايات المتحدة والغرب، فوفقاً لاستطلاع رأي أجرته مؤسسة «هاريس بول» بالتعاون مع «هاريس إكس»، تبين أن ٦٠٪ من الشباب الأمريكيين في الفئة العمرية (١٨ – ٢٤ عاماً) عبروا عن دعمهم للجانب الفلسطيني مقارنة بنسب تأييد ساحقة لـ«إسرائيل» بين الأجيال الأكبر سناً (الذين تتجاوز نسب تأييدهم لـ«إسرائيل» ٨٠% في فئة ما فوق ٦٥ عاماً).

يقول ناعوم تشومسكي، في أطروحاته حول صناعة الإجماع: «إن السيطرة على تدفق المعلومات كانت الركيزة الأساسية للنظام الدولي؛ لكن مع حرب غزة، كسر الجيل الجديد هذا الاحتكار».

وتقول الكاتبة المعاصرة منى الطحاوي: «إن «جيل زد» لم يعد يطلب الإذن من المؤسسات الإعلامية الكبرى ليعرف الحقيقة، فقد أصبح هو نفسه المنصة والناشر».

وتحولت الجامعات العريقة في أمريكا وأوروبا (مثل هارفارد وكولومبيا وسوربون) إلى ساحات اعتصام قادها هذا الجيل الاستثنائي، متحدياً القمع الأمني والتهديدات المستقبلية لوظائفهم؛ ما أثبت أن القضية الفلسطينية أصبحت أيقونة العدالة العالمية الحاكمة لضميرهم السياسي.

٢- الأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨م.. ولادة في حضن «التقشف»:

رغم أن العديد من أفراد هذا الجيل كانوا أطفالاً أو في بداية وعيهم عام ٢٠٠٨م، فإن تداعيات انهيار الأسواق المالية العالمية والرهن العقاري رسمت الخلفية الاقتصادية القاتمة لبيوتهم.

فعلى مستوى الإحصاءات والواقع المعيشي، رأى هذا الجيل آباءهم يفقدون وظائفهم ومدخرات حياتهم، ورأوا المنازل التي نشؤوا فيها تُعرض في المزاد العلني، وطبقاً لتقرير مؤسسة «ديلويت» السنوي عن «جيل زد» و«جيل الألفية»، فإن الخوف من عدم الأمان المالي وارتفاع تكاليف المعيشة ظل المتصدر الأول لمخاوف هذا الجيل، حيث أكد ٥٥% منهم أنهم يؤجلون قرارات مصيرية مثل الاستقلال السكني أو بناء عائلة بسبب الضغوط الاقتصادية الموروثة عن تلك الحقبة.

وذكر الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما في مذكراته: «إن أزمة عام ٢٠٠٨م لم تكن مجرد أزمة أرقام، بل خلقت شرخاً عميقاً في ثقة جيل كامل تجاه وعود الرأسمالية والشركات الكبرى التي جرى إنقاذها بأموال دافعي الضرائب، بينما تُركت الطبقات الوسطى تواجه مصيرها».

٣- ثورات «الربيع العربي» ٢٠١١م.. تسييس مبكر عبر دروس الدكتاتورية:

بالنسبة لشباب «جيل زد» في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وحتى المتابعين لهم عالمياً، كانت ثورات عام ٢٠١١م وما تبعه نافذتهم الأولى على مفهوم القوة الشعبية وعنف الدولة في آن واحد.

وقد أظهرت استطلاعات الرأي الخاصة بالشباب العربي على مدى سنوات ما بعد «الربيع العربي»، أن أكثر من ٧٠٪ من الشباب يعتبرون الفساد الحكومي والبطالة المحركين الأساسيين لعدم الاستقرار.

٤- أزمة المناخ العالمية.. النضال من أجل البقاء البيولوجي:

على عكس الأجيال السابقة التي ناقشت التغير المناخي كرفاهية علمية أو

مشكلة مستقبلية، يتعامل «جيل زد» مع هذه القضية كخطر وجودي داهم يهدد بقاءهم على الكوكب.

ففي «استطلاع وعي جيل زد» الصادر عن «UNITED WAY NCA»، تبين أن ٦٤% من شباب هذا الجيل يضعون مكافحة التغير المناخي على رأس أولوياتهم السياسية والاجتماعية، وقد حشدت الاحتجاجات المناخية التي قادتها الرموز الشابة مثل جريتا ثونبرج ملايين الطلاب حول العالم في إضرابات مدرسية من أجل الأرض.

وحذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش مراراً من أن العالم يمر بحالة غليان عالمي، مشيداً في الوقت نفسه بالضغط الأخلاقي والسياسي الذي يمارسه الجيل الجديد، واصفاً إياهم بأنهم الضمير الذي يفتقده القادة السياسيون.

٥- جائحة «كورونا» عام ٢٠٢٠م.. العزلة السيكولوجية وسقوط هيبة الدولة:

جاءت جائحة «كورونا» لتغلق المدارس والجامعات في أكثر سنوات العمر حرجاً لـ«جيل زد»، مسببة انقطاعاً اجتماعياً غير مسبوق في التاريخ الحديث.

فحسب استبيان النشاط والوعي لـ«جيل زد»، أفاد ما يقرب من ٣ من كل ٤ شباب (٧٥%) بأن الجائحة أثرت سلباً بشكل عنيف على صحتهم النفسية، وتم تشخيص نحو ربعهم باضطرابات مثل القلق والاكتئاب خلال تلك الفترة.

لم تكن الجائحة أزمة صحية فحسب، بل كانت تعريّة سياسية كاملة، شاهد الشباب كيف عجزت القوى العظمى (وعلى رأسها الولايات المتحدة وأنظمة أوروبية) عن توفير أبسط المستلزمات الطبية أو حماية مواطنيها، في حين انهارت شبكات الأمان الاجتماعي.

وقد رسخت الجائحة مفهوم الاضطراب الشامل لدى «جيل زد»؛ لأنهم أدركوا أن العالم يمكن أن يتوقف فجأة، وأن الأمان المؤسسي مجرد وهْم؛ ما دفعهم لتطوير آليات تضامن مجتمعي مستقلة عبر الإنترنت، وزاد من رغبتهم في فرض تغييرات جذرية على أنظمة العمل والرعاية الصحية والتعليم.

جيل الراديكالية الرقمية

إذا جمعنا خيوط هذه الأحداث الخمسة، نجد أننا أمام جيل يتميز بخصائص سياسية فريدة لم يعرفها التاريخ من قبل، فقد أسقط، من خلال مواقفه المبدئية من الحق الفلسطيني، السردية الغربية التقليدية، وقام بصياغة وعي حقوقي متجاوز للحدود، وهو الذي يتشكك في الوعود الرأسمالية ويتصدى للقمع السلطوي بعد كسر حاجز الخوف، ويخوض بوعي يقظ معركة الحفاظ على البيئة متصدياً للسياسات الرأسمالية المخربة.

والأنكى أن «جيل زد» لم يعد ينتظر تغييراً يأتي من صناديق الاقتراع التقليدية التي يرى أن المال السياسي يتحكم بها، بل يصنع ضغطه عبر الشارع الرقمي، والاعتصامات الميدانية، والمقاطعة الاقتصادية، إنه جيل مسلّح بالمعلومات الفورية، مدفوع بالتعاطف الراديكالي، ومصمم على إعادة صياغة العالم وفق شروطه الخاصة، بعد أن وجد أن المنظومة القديمة لم تترك له شيئاً يخسره. ■

أفول الرموز.. كيف سحب «المؤثرون» بساط القدوة؟

مصطفى عاشور
كاتب في الشأن الفكري

الشباب ينظرون إلى الرموز الجديدة في العالم الافتراضي على أنهم أقران لهم ما يقوي التأسي والاقتداء

خلال عقدين من الزمان، تغيرت خريطة الرموز والقدوات عالمياً، فصعدت الرقمية من مؤثريها، على حساب القدوات التقليدية كالآباء والمعلمين والمثقفين والأدباء وعلماء الدين ووجهاء المجتمع.

تشير دراسة صادر عن مركز «بيو» الأمريكي عام ٢٠١٨م، أن أكثر من ٩٥% من المراهقين يمتلكون هواتف ذكية، وأن ٤٥% منهم متصلون دائماً بالإنترنت، وفي دراسة أخرى صدرت عن المركز عام ٢٠٢٣م ذكرت أن ٩ من كل ١٠ مراهقين يستخدمون موقع «يوتيوب»، وأنه المنصة الأكثر استخداماً شبابياً، ويؤكد ٧ من كل ١٠ مراهقين أنهم يزورون الموقع يومياً، وحوالي ١٦% من هؤلاء يتواجدون على الموقع بصفة شبه دائمة، وحسب دراسة استطلاعية صدرت عام ٢٠٢٥م، فإن المراهق يمضي ما بين ٤ – ٧ ساعات يومياً ملتصقاً بشاشة هاتفه الذكي.

الوقت الطويل الذي يمضيه الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي أحدث تغيرات عميقة في خريطة القدوات والرموز، إذ تحولت قدوات الشباب ورموزهم إلى المؤثرين على الإنترنت، وتراجع تأثير الآباء والمثقفين ورجال الدين، إلا إذا كان لهم نشاط وحضور مؤثر في العالم الافتراضي.

قدوة بمعايير الرقمية

يعد التعلم والترفيه من أهم دوافع الناس في استهلاك ما تنتجه وسائل الإعلام، وكانت القدوات المطروحة في المجتمع ما قبل الرقمية، تكاد تدور حول هذين الدافعين، وكانت القدوات تغذي القيمة والمعلومة، أو الترفيه والسعادة البهجة.

لكن في العصر الرقمي، يُعاد تشكيل القدوات والرموز، فأصبح يُقاس الرمز بمقدار عدد متابعيه وما تحصل عليه منشوراته من إعجاب وإعادة نشر، وكلما زاد المتابعين والإعجابات تحول هذا الشخص

لـ«مؤثر»؛ أي قدوة بمقاييس الرقمية، بغض النظر عما تحويه منشوراته من قيمة أو معلومة؛ بل قد تكون الخفة والسطحية الأكثر قبولاً في العالم الرقمي، لأنها تتلاءم مع روح العصر السريع في كل شيء، والباحث عن المتعة الموهومة في الوجبات السريعة والملابس الممزقة والأغاني الصاخبة.

لقد حدث تغيير في معنى القدوة، فبعد أن كانت سعياً وراء تجسيد الكمال والمثالية، لتصبح إظهاراً لبهجة الحياة وبريقها والقدرة الاستهلاكية ونمط الحياة المترف واللاهث وراء المتعة في السفر وإعداد الطعام واستعراض الملابس.

وهنا تحول التأثير التربوي والثقافي من الأسرة والأطر التقليدية، مثل المدرسة ومؤسسات الإعلام التقليدية والصحف الكبرى، إلى فئة مغايرة، وهم المؤثرون في العالم الافتراضي الذين يحظون بمصداقية لدى الشباب ليس لأنهم يعبرون عن تجسيد للكمال والمثالية، ولكن لأنهم يملكون قدرات كبيرة في التواصل مع الشباب، وخطابهم باللغة التي يفهمونها، ويبثون ما يرغب الشباب في متابعته ومشاهدته، فهم يتمتعون بفهم طبيعة الوسيط الرقمي وقدراته التواصلية الفائقة، ولذا أظهر هؤلاء المؤثرون أنفسهم بطريقة قريبة من أذهان الشباب تتسم بالولد والتلقائية والطموح والرغبة في الانطلاق للاغتراف من متع الحياة دون الحرص على بناء صورة مثالية، فغذوا أحلام الترف والاستهلاك والانطلاق بلا قيود.

القدوة الرقمية أصبحت مرآة للذات الحالمة بالترف، ومع التعامل اليومي لساعات طويلة مع الشاشات، مع شباب في مرحلة التكوين وبناء الشخصية، انطمست الحدود بين الإعجاب والتقليد، وصارت القدوة نابعة من تأثيرات الصورة والمشاهدة، التي تغازل الأحلام والخيال، بما يفوق الواقع وإمكاناته، فكان الظهور أحد معايير القدوة في العصر الرقمي.

يلاحظ أن الشباب ينظرون إلى الرموز الجديدة في العالم الافتراضي على أنهم أقران لهم، وليسوا في مكان منفصل عنهم، وهذه الحقيقة تقوي التأسي والاقتداء؛ إذ يشعرون أنهم من نسيج واحد، وأنهم قادرون على تحقيق أحلامهم والصعود لعالم الشهرة

حديث الآباء عن القيم لا يجد آذاناً صاغية حيث يرى الشباب أن هذه القيم قيود تعيق انطلاقهم!

لإعادة القدوات التقليدية لشباب اليوم على الآباء التحول إلى العالم الرقمي ليكونوا مؤثرين ومتفاعلين

مثل هؤلاء المؤثرين، ذكرت دراسة أن ٧٠% من مستخدمي «يوتيوب» المراهقين يعاملون المؤثرين كأقران، وأن ٦٠% من مستخدمي «يوتيوب» سيتبعون نصائح المؤثرين بشأن ما يجب شراؤه.

وهذا يعني أن المماثلة العمرية ذات تأثير في الترميز والاقتداء، نضف إلى ذلك أنهم ينظرون للمؤثرين في العالم الرقمي على أنهم أقرب للمشاهير الشعبيين الذين حققوا جزءاً من الشهرة والترميز من خلال التفاعل وليس الانعزال عن جمهورهم، ولعل هذا ما يجعل الشباب يعتبرونهم كأصدقاء وليسوا قديسين.

الشهرة مهنة

في كتابها «المؤثرون على الإنترنت» للباحثة السنغافورية كريستال عابدين، تشريح لعالم المؤثرين على الإنترنت، ومن الحقائق التي ذكرتها أن الشهرة على الإنترنت جزء من بنائها يكون على التفاعل المباشر، وأن المؤثرين يفوقون بكثير المشاهير السابقين على تحقيق حضور فاعل ومتفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية وبناء شبكات قوية من المعجبين والمتابعين، وبناء محتوى بسيط وجذاب ويسهل الوصول إليه.

لكن عابدين أشارت إلى مسألة مهمة، وهي أن الشهرة في العالم الافتراضي تحولت إلى مهنة تحقق أرباحاً كبيرة من خلال الإعلانات والرعايات، وأن هذه الشهرة لها قواعدها ويمكن بناؤها، فالمؤثر قد يصعد فجأة من خلال حدث أو فيديو أو موقف ليتحول من شهرة مفاجئة إلى شهرة دائمة، شهرة لم تأت عبر تراكم طويل، شهرة تخضع لسياقات التجارة والترويج الشبكي.

هل الآباء قدوة للأجيال الجديدة؟ هذا السؤال انشغال عالمي في ظل تراجع دور الأسرة في تنشئة الأبناء، وتراجع دور الأب كقدوة، وهذه ظاهرة عالمية، حيث أخذت تتلاشى مع الرقمية صورة الأب القوي الملهم، إذ بات الأبناء ينظرون لكثير من الآباء على أنهم قليلو المعرفة والخبرة بالتكنولوجيا الرقمية، كما أن معارف الآباء باتت أقل من الأبناء، وهذا ما وضع الآباء في مقارنة دائماً مع روح العصر، فيُنظر لنصائحهم أنها قيمية؛ ولذا فحديث الآباء عن القيم ومنظومات الأخلاق لا يجد آذاناً صاغية مع الروح الاستهلاكية والنزعة الترفيهية الغالبة، ومع تغلب ثقافة الصورة، يرى الشباب أن القيم قيود تعيق انطلاقهم.

أما الآباء، فمع انشغالهم الكبير لتوفير متطلبات الحياة، نجدهم غير قادرين على التكيف مع متطلبات التطور في التكنولوجيا الرقمية، وربما هذا ما حفز الأبناء للبحث عن رموز مغايرة يتشاركون معها مساحة الوعي والاهتمام والتطلعات، كما أن معاناة الآباء لا تحظى بمكان على الشاشات؛ ولذا لا يشعر الأبناء بأحقية في ترميزهم، ولا رغبة في الإصغاء إليهم.

وقد أظهرت نتائج استطلاع للرأي أجرته شركة «DELOITTE» الشهيرة أن نصف المراهقين الأمريكيين أو ما يُسمى بـ«جيل زد» يعتبرون آباءهم قدوة لهم، كما أن الكثير من الآباء يعتبرون أنفسهم متأخرين خطوة عن الأبناء فيما يتعلق بالتكنولوجيا الرقمية.

من الحلول المقترحة لإعادة الرموز والقدوات التقليدية لعالم الشباب أو ما يسمى بـ«جيل زد» أن يتحول الآباء والرموز إلى العالم الرقمي ليكونوا مؤثرين ومتفاعلين في الفضاء الرقمي، وهناك حديث عن الآباء الرقميين، وأن عليهم أن يفهموا طبيعة الوسيط الرقمي، وألا ينتقلوا إلى العالم الافتراضي بنفس الأساليب التقليدية التي يستخدمونها في الواقع، لعل هذا يكون حلاً لخلق قدوات ورموز آمنة وملهمة للأجيال الجديدة التي تفتح وعيها على الإنترنت. ■

كيف كسر «جيل زد» احتكار الرواية الصهيونية رقمياً؟

علي إبراهيم
باحث في شؤون القدس وقضايا التاريخ والحضارة

لعقود طويلة، احتكرت الرواية الصهيونية مساحة واسعة من الإعلام الغربي، مستفيدة من شبكة علاقات مؤسسية وتحريرية رسّخت لدى جمهورها صورة واحدة؛ مبدؤها ومنتهاها الاحتلال.

ونشأت الأجيال في الغرب على هذه السرديّة؛ ما سمح للاحتلال بتبوؤ موقع متقدم في هذا السباق، وللأسف لم يستطع أن ينافسها فيه أحد، فقد احتكرت الرواية ومنصاتها، وقد استمرت على ذلك سنوات طويلة.

وعلى أثر السابع من أكتوبر، واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي بكثافة للحديث عما يعانيه الشعب الفلسطيني، بدأ هذا الاحتكار بالتصدّع، خاصة مع دخول الأجيال الجديدة إلى ساحة الفعل الإعلامي، مستفيدة من مرونة منصات التواصل الاجتماعي، واستخدام الحقائق الواضحة التي تتمثل في فلسطين عامة وغزة على وجه الخصوص، مبتعداً عمّا يقدمه الإعلام التقليدي من رواية منحازة إلى الاحتلال.

ونحاول في هذا المقال تبيان كيف كسر ما يُعرف بـ«جيل زد»، رواية الاحتلال، وتصاعد الرواية الفلسطينية في المقابل.

قبل الحديث عن تنامي الخطاب المتضامن مع فلسطين في الأجيال الجديدة، فمن المهم إدراك أن «جيل زد» لم يقرر مناصرة القضية الفلسطينية بمحض الصدفة، بل إن بنيته الاستهلاكية للأخبار تختلف جذرياً عن الأجيال السابقة، لذلك من المهم فهم التحولات التي طرأت على سلوكياتهم تجاه الإعلام التقليدي، وكيفية الحصول على المعلومات، ومتابعة الأخبار.

ومن أبرز شواهد هذه التحولات ما كشفته دراسات مسحية، بأن نحو ٧٨% من الفئة العمرية ما بين ١٨ و٢٩ عاماً يحصلون على أخبارهم من وسائل التواصل الاجتماعي على الأقل في بعض الأحيان، وبحسب هذه المعلومات تتراجع هذه النسب كلما ازدادت الفئة العمرية، لتصل إلى أقل من ٥٠% في الفئة ما بين ٥٠ و٥٥ عاماً.

ومن أبرز الشواهد الرقمية على هذا الانقلاب الفجوة الهائلة في الحضور بين أبرز وسمين في تطبيق «تيك توك»، فخلال الشهر الأول من حرب الإبادة، كشفت بيانات رسمية لمنصة «تيك توك»، أن وسم «الحرية لفلسطين» (#FreePalestine) استخدم في ٢١٤ ألف مقطع فيديو، نُشرت من الولايات المتحدة، وحصدت هذه الفيديوهات نحو ٥٢٥

مليون مشاهدة.

أما على الصعيد العالمي، فقد استخدم الوسم نفسه في نحو مليون مقطع مصور، حققت نحو ٤ مليارات مشاهدة، ولم يكن هذا الحجم الضخم من التفاعل والمشاهدة مقتصراً على الولايات المتحدة فقط، فقد استخدم مستخدمو التطبيق وسم فلسطين باللغة العربية، في نحو ٨٩٥ ألف فيديو، حصدت نحو ٧ مليارات مشاهدة (من بينها ٢٤ ألف فيديو نُشرت من داخل الولايات المتحدة، محققة ٩٠ مليون مشاهدة).

في المقابل، وبحسب البيانات نفسها، كان أبرز وسم مؤيد للكيان «#STANDWITHISRAEL» (متضامن مع إسرائيل)، وقد استخدم في ٣ آلاف فيديو داخل الولايات المتحدة حققت ١٧ مليون مشاهدة، أما عالمياً؛ فقد ظهر في ١٣ ألف فيديو حصدت نحو ١٠٩ ملايين مشاهدة.

وتُشير هذه الأرقام، وما يتصل بها من تصاعد متابعة المنصات ذات المحتوى البصري، التي تدعم ما تقدمه من معلومات عبر مقاطع قصيرة، وخاصة تلك المرتبطة بمكان الحدث، حيث ترتكب سلطات الاحتلال الإبادة، إلى أن نسبة الذين يتابعون التطورات بشكل مباشر مع التوثيق الحي، كبيرة جداً، ما يعني أن المعركة على الرواية لم تعد تُحسم في غرف الأخبار، وقد انتقلت إلى فضاءات أخرى، كانت الخوارزميات ميدانها الآخر، وهو ما سعت القوى الكبرى الاستعمارية إلى تكميمه كذلك.

من موضوع الخبر إلى مصدره

إلى جانب ما يُمكن تسميته بأنه حالة من التضامن، والاقتراب أكثر إلى الحقيقة، شهدت الأعوام الماضية تحولاً بارزاً، تمثل في موقع الفلسطيني داخل آليات النقل الإعلامي، فعلى الرغم من الأخطار المحدقة بكل من ينقل الإبادة في غزة، فإن الصحفي الفلسطيني والإعلام المباشر من قبل النشطاء، استطاع أن يحول الفلسطيني من كونه موضوع الخبر، الذي تتناقله وتتحدث عنه وسائل الإعلام الغربية، إلى مصدر مباشر للأخبار، من خلال جهودهم، والتمسك بالتغطية، على الرغم من التهديدات الكبيرة من قبل الاحتلال.

ويرى باحثون أن مقاطع صناع المحتوى من غزة كانت قوية وشخصية، وتحوّلت إلى المصدر الأساسي للمعلومات، وتقدم رواية إنسانية معيشة تُغطي جوانب من الحرب، يعاني بسببها مئات آلاف الفلسطينيين.

ومن المهم الإشارة إلى جزء من أبطال هذه السردية، فبحسب دراسة أكاديميّة رصدت التحولات التي طرأت على صناع المحتوى من غزة من «جيل زد»، أشارت إلى أن هؤلاء كان محتواهم على «تيك توك» متناسباً مع جيلهم، من حيث مقاطع اليوميات وما يُسمى نمط الحياة وغيرها.

ومع انطلاق العدوان وحرب الإبادة، وجدوا أنفسهم في قلب الحدث، فتحوّلت مقاطعهم المباشرة وغير المُحرَّرة، بما تحمله من صدق وقرب شخصي، إلى أحد أهم منافذ المعلومات والمنظور للملايين المتابعين حول العالم، متفوقة في الأثر على ما تقدمه وسائل الإعلام التقليدية، وتؤكد هذه العبارة أهمية مقاطع هؤلاء، وكيف سعت سلطات الاحتلال إلى اعتقال بعضهم، وتصفية بعضهم الآخر، وكان آخرهم اغتيال الشاب صالح الجعفراوي على يد شرذمة من العملاء، وقد كان الشهيد الجعفراوي أنموذجاً للنقل الحرّ، والبسالة على الرغم من الأخطار المحدقة به من كل صوب واتجاه.

ومن أبرز الظواهر التي أحدثها «جيل زد» في سياق تفاعله مع التطورات، إحداثه ما يشبه غرفة تحرير جماعية غير رسمية، مهمتها تفنيد الروايات المضادة بسرعة قياسية، فقد وُثّقت حالات تضليل متعددة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، وحاولت تمرير مزاعم وأكاذيب وأخبار ملفقة، إضافة إلى مقاطع مُعاد تدويرها من حالات قديمة أو دول أخرى.

ولكن هذا التفنيد الشبابي العام استطاع كشفها وتفكيكها، عبر المنصات المختلفة، وهو ما دفع لاحقاً إلى إنشاء العديد من المنصات التي تعمل على تبيان الأباطيل المنتشرة، التي يقف خلفها الكيان، في سياق سعيه إلى تشويه الشعب الفلسطيني ومقاومته.

من الهامش إلى المنتصف

أظهرت المعطيات السابقة تصاعداً غير مسبوق في وسائل التواصل، ولكن النتيجة المباشرة لهذا الانتشار انعكست بازدياد الفعاليات والمسيرات الشعبية المؤيدة للفلسطينيين، ومنددة بالإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني.

فبعد عامين من بدء الإبادة الجماعية، وثق المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام (إيبال) أكثر من ٤٥ ألف مظاهرة وفعالية في نحو ٨٠٠ مدينة في ٢٥ دولة أوروبية، وجاءت إيطاليا في المرتبة الأولى من حيث عدد الفعاليات بـ٧٦٤٣ مظاهرة وفعالية في ١٨٦ مدينة إيطالية، ثم ألمانيا في المرتبة الثانية بنحو ٧ آلاف مظاهرة وفعالية، أما إسبانيا فجاءت في المرتبة الثالثة بـ٥٨٨٦ مظاهرة في ١٣٤ مدينة.

وبطبيعة الحال، كان «جيل زد» من أكثر الفئات العمرية مشاركة في هذه التظاهرات، وعلى المقلب الآخر؛ أظهرت استطلاعات رأي أمريكية أجريت في بداية عام ٢٠٢٦م، أن نحو ٤١% من البالغين الأمريكيين دون سن الثلاثين يتعاطفون مع الشعب الفلسطيني، مقابل ١٤٪ فقط عبّروا عن تعاطف مماثل مع المستوطنين، بينما تتصاعد هذه النسبة في الفئة العمرية فوق الخامسة والستين؛ فقد عبّر ٤٧٪ منهم عن تعاطفهم مع المستوطنين مقابل ٩٪ فقط مع الفلسطينيين، وينسحب هذا التراجع إلى النظرة إلى الحكومات، حيث تراجع التضامن مع حكومة الاحتلال بشكل كبير في كل الفئات العمرية.

أخيراً، لم يقف داعمو الكيان مكتوفي الأيدي، فقد شهدت منصات التواصل وساحات المدن في العالم، على حدٍّ سواء، قمعاً ممنهجاً لكل المتضامنين مع فلسطين وغزة، ولم يستطع هذا التضامن الفذ تغيير الانحيازات المسبقة لقادة دول الغرب مع الاحتلال، ولكنها بكل تأكيد مؤشرات إلى تغيير عميق في المواقف، خاصة مع ما قامت به الأجيال الجديدة في حروبها الصامتة تجاه التعتيم الإعلامي والقمع الخوارزمي.

فلم تعد هذه الأجيال الجديدة متلقية صامتة لرواية جاهزة، ولكنها تحوّلت إلى فاعل نشط يصنع المحتوى، ويفنّد التضليل، ويعيد إنتاج السردية الحقيقيّة، التي تنصف المظلوم، وتشوه وجه الظالم، وحتى في مواجهة آليات الحجب والقمع الخوارزمي، استطاعت الرواية الفلسطينية أن تجد طريقها إلى الملايين، عبر شاشة صغيرة في يد كل فرد من هذا الجيل، لتثبت أن احتكار الرواية لم يعد ممكناً.■

اقتصاد العمل الحر وصناعة المحتوى.. فرصـــــة أم فـــــخ؟

د. علي شيخون
مستشار المحاسبة والمالية الإسلامية

قبل ٥ سنوات كان السؤال الذي يطرحه أي شاب طموح: أين تعمل؟ واليوم تغيّر السؤال إلى: في أي مجال تعمل لحسابك؟ لم تعد الوظيفة الثابتة بمكتبها وساعاتها ورئيسها المباشر الحلم الذي يسعى إليه الجميع، فقد ولد جيل جديد يرى في الكاميرا مكتباً، وفي شاشة الجوّال سوقاً مفتوحة، وفي العمل الحر باباً للحرية التي لا توفرها أي وظيفة تقليدية، شباب تركوا وظائفهم المستقرة ليصنعوا محتوى، ومستقلون يبيعون خبراتهم لعملاء قد لا يروهم وجهاً لوجه، وأرباح بالعملة الصعبة تتدفق من خلف شاشة صغيرة.

لكن خلف هذا البريق تختفي قصص أخرى أقل احتفاءً، مَن استثمر وقته وماله في مشروع محتوى قد انهار بين عشية وضحاها بعد تغيير خوارزمية، ومَن أنجز عملاً لعميل لم يسدد له أجره، ومَن وجد نفسه بعد سنوات من الحرية بلا تأمين صحي ولا معاش تقاعد ولا حتى عقد يحمي حقه.

فهل هذا الاقتصاد الجديد فرصة حقيقية أعاد تعريف العمل والرزق؟ أم أنه فخ جذاب يخفي تحت غلاف الحرية أخطاراً لم يستوعبها كثيرون بعد؟

تكفي نظرة سريعة إلى تقارير منصات العمل الحر العالمية لإدراك حجم ما يجري، ملايين المستقلين حول العالم يبيعون مهاراتهم في التصميم والبرمجة والترجمة والكتابة والاستشارات والمحاسبة عن بُعد، وقطاع عربي ينمو بمعدلات لافتة في هذه الخدمات بالذات؛ إذ يكفي أن يملك المرء حاسوباً وخبرة دقيقة في مجاله ليجد عميلاً في قارة أخرى دون وسيط ودون مكتب.

وإلى جانب ذلك، نمت موازاة له صناعة لا تقل اتساعاً، صناعة المحتوى؛ حيث تحوّلت حسابات على «يوتيوب» و«تيك توك» و«إنستجرام» إلى مصادر دخل رئيسة لا هامشية، لا صاحب عمل ولا راتب ثابتاً ولا ضمانات تقليدية، وما كان يُنظر إليه قبل سنوات كهواية جانبية

أو عمل مؤقت بين وظيفتين صار اليوم اقتصاداً متكاملاً له سوقه وأدواته ولغته الخاصة حتى صار بعض الآباء يفاخرون بأن ابنهم «فريلانسر» (عمل حر) أو «يوتيوبر»، كما كانوا يفاخرون يوماً بأنه طبيب أو مهندس.

في هذا الوجه المشرق من المشهد، يجد كثيرون أنفسهم محررين من قيد كانوا يظنونه قدراً لا مفر منه؛ ساعات العمل الثابتة، والمكتب الذي لا يغادرونه إلا بإذن، والراتب الذي لا يتحرك رغم تضاعف الجهد.. هنا يستطيع المبرمج أو المترجم أو المستشار أن يعمل من غرفته في الفجر إن شاء، خادماً عملاء في قارات بعيدة دون أن يغادر بيته، وتستطيع الأم أن توازن بين رعاية أطفالها ومشروعها وفق جدول تصنعه بيدها لا يصنعه لها أحد، ويستطيع الشاب الذي لا يملك رأس مال كبيراً أن يدخل سوقاً عالمية بموهبته فقط، متجاوزاً حواجز كانت تقليدياً تحتاج إلى وساطة أو سنوات من التدرج الوظيفي.

لكن من جرّب هذا الطريق عن قرب يعرف أن البريق الأول لا يلبث أن يتبعه ظل ثقيل، فمن يعمل حراً قد ينجز مشروعاً كاملاً لعميل يختفي فجأة دون سداد قيمته، أو يجد نفسه في نزاع لا يُحسم حول حدود العمل المتفق عليه أصلاً، أو يخضع لمنافسة سعرية حادة من منافسين في بلدان أخرى يقبلون بأجر لا يكفي بالكاد لتكاليف الإنترنت، أو تنهار سمعته المهنية بتقييم سلبي واحد على المنصة دون أن يملك وسيلة حقيقية للرد أو التصحيح، والدخل الذي يتدفق بسخاء في شهر قد ينقطع تماماً في الشهر التالي دون مقدمات!

علماً أن هذه الأخطار لا تظهر في بداية الطريق، وإنما تتراكم بصمت فلا يشعر بها العامل الحر إلا بعد سنوات حين يحتاج فجأة إلى عملية جراحية لا تغطيها أي بوليصة، أو يبلغ سن التقاعد؛ ليجد أن لا شيء تراكم له سوى الذكريات، هكذا يجد كثيرون أنفسهم بعد سنوات من الحرية في موقف هش أقرب إلى من يبني بيتاً فوق الرمال لا فوق أساس متين.

بين الكسب الحلال وضبط العلاقة التعاقدية:

وهنا يصبح الحديث عن الجانب الشرعي في العمل الحر ضرورة لا رفاهية، فالعمل الحر من حيث أصله نوع من الإجارة المشروعة، وهو من أبواب الرزق المتنوعة التي رغّب فيها الشرع، فالشريعة لم تشترط شكلاً معيناً للكسب، وإنما ضبطت جوهره، كثير من تعاملات هذه السوق تُعقد بكلمة عابرة على شاشة محادثة دون تحديد دقيق للأجر أو المدة أو طبيعة العمل أو آلية التسليم، وهو ما يُدخل العلاقة في دائرة الغرر الذي حذّر منه الشرع؛ لأنه يفتح الباب لضياع الحقوق وتعدد التفسيرات عند أول خلاف، وقد يتحول العمل المشروع في أصله إلى نزاع لا يُحسم لغياب مرجع موثق.

كما لا يمكن تجاهل أن بعض صور صناعة المحتوى تختلط فيها الشبهة بالكسب حين يتحول الترويج إلى تغرير، أو تُستخدم خوارزمية الانتشار وسيلة لإشباع رغبة الجمهور بمحتوى لا يخلو من المخالفات الشرعية؛ فيصبح النجاح الرقمي على حساب البركة في الرزق.

والمؤمن الحريص على رزقه الحلال مدعو إلى أن يجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، فالتوثيق والادخار والتحوط ليست منافية للتوكل، وإنما هي من تمامه وكماله تماماً كما حُفظ دَيْن الصحابي بكتاب وشاهدين دون أن يُعد ذلك نقصاً في يقينه بربه.

أمام هذا الواقع، يبرز سؤال عملي بحت: ماذا يفعل من اختار هذا الطريق ليحوّله من فخ إلى فرصة؟ الإجابة تبدأ من تنويع مصادر الدخل، بحيث لا يتحول مصير الإنسان كله رهينة عميل واحد أو منصة واحدة أو خوارزمية واحدة، وتمر بالادخار المنتظم وبناء ما يشبه صندوق الطوارئ الذي يسد الفجوة في الشهور الضعيفة، ولا تتجاهل أهمية البحث عن صيغ تأمين تكافلي بديلة عن صيغ التأمين التجاري التقليدي تحفظ له مستقبله دون أن تُدخله في محظور شرعي، وتنتهي بأمر يبدو بسيطاً لكنه جوهري هو الحرص على عقد واضح مكتوب محدد الشروط والأجر وآلية الدفع وموعد التسليم قبل الشروع في أي عمل مهما بدا العميل موثوقاً أو كانت العلاقة ودية.

وفي خلفية كل هذا لا يغيب واجب شرعي قد يُهمله كثير من العاملين الأحرار؛ وهو حساب الزكاة على دخلهم المتقلب بضبط صحيح، فالرزق المتقطع يحتاج إلى من يضبط حسابه الزكوي بدقة بدل أن يُترك للتقدير العشوائي في آخر العام.

غياب التنظيم.. مسؤولية من؟

ويبقى سؤال أكبر معلقاً في الفضاء العام: إلى متى يبقى هذا القطاع الضخم الذي يضم في بعض الدول العربية مئات الآلاف من العاملين بلا إطار تنظيمي واضح؟ فلا تصنيف قانونياً موحداً يحدد وضع العامل الحر بين الموظف والتاجر والمحترف المستقل، ولا صناديق تكافل جماعي تحميه من تقلبات السوق كما تحمي صناديق التقاعد الموظف التقليدي، ولا آلية فصل واضحة عند نزاعه مع عميل أو منصة قد تكون مقرّها في قارة أخرى لا تخضع لأي قانون محلي.

والسؤال معلق بين مسؤولية الجهات الحكومية التي يفترض أن تستوعب هذا التحول الاقتصادي بدل تجاهله أو محاولة فرض ضرائب عليه دون أن تمنحه أي حماية بالمقابل، ومسؤولية المنصات نفسها التي تربح من جهد هؤلاء العاملين دون أن تمنحهم ضمانات حقيقية.

ويبقى السؤال قائماً من سيتحرك أولاً؟ وهل يمكن أن نشهد يوماً صيغة تكافلية جماعية ينظمها العاملون الأحرار أنفسهم على غرار صناديق التكافل التي عرفها تاريخنا الاقتصادي قبل أن تُستورد فكرة التأمين بصيغتها الغربية؟

لا يبدو اقتصاد العمل الحر فرصة خالصة ولا فخاً مطلقاً، إنه ميدان جديد بقواعد لم تكتمل بعد، يحتاج من يدخله إلى وعي يوازن بين الحماس والحيطة، وإلى عقد واضح يحفظ الحق، وإلى ضبط شرعي يجعل الرزق المبارك هدفاً، ومن جمع بين هذه العناصر وجد في هذا الاقتصاد بالفعل باباً جديداً للرزق لا حفرة سقط فيها ظناً أنها طريق ■

المحتوى القصير و«جيل زد».. هل يصنع معرفة وفكراً أم يكتفي بإثارة الانتباه؟

د. السنوسي محمد
كاتب صحفي - مختص بالشؤون العربية

الثورة الرقمية أعادت تشكيل الطريقة التي يتلقى بها الإنسان المعرفة، وأصبح المحتوى القصير، الذي لا يتجاوز أحياناً بضع ثوانٍ أو دقائق، جزءاً أساسياً من الحياة اليومية، خاصة لدى «جيل زد» الذي نشأ في بيئة رقمية متصلة باستمرار.

وقد أدى انتشار منصات التواصل الاجتماعي إلى تغير أنماط القراءة والتعلم، وأدوات المعرفة والفهم، وأصبح السؤال المطروح: هل يستطيع هذا المحتوى السريع أن يصنع معرفة وفكراً جادين، أم يقتصر على جذب الانتباه وإثارة الفضول؛ وبالتالي ترسيخ ثقافة الصورة بدل الكلمة، وذهان السطحية والسهولة بدل العمق والتركيب؟

ولا شك أن المحتوى القصير يتناسب مع إيقاع الحياة المعاصرة، حيث سرعة تدفق المعلومات والأخبار، وتعدد مصادر المعرفة، وضيق الوقت، كما يتميز بسهولة الوصول إليه، وبقدرته على تقديم الأفكار بصورة مبسطة، فضلاً عما يحتويه من عناصر جذب وتشويق سمعية وبصرية.

ولهذا، أصبح كثير من الشباب يفضلون تلقي المعلومات من خلال المقاطع القصيرة والمنصات الرقمية؛ لأنها توفر جرعات سريعة من المعرفة، وتسمح بالانتقال السريع بين موضوع وآخر بلا ملل، ودون الحاجة إلى وقت طويل أو تركيز ممتد.

بينما أسهم ظهور الطباعة وانتشارها في ترسيخ ثقافة الكتاب، واعتباره أداة رئيسة فاعلة في تعميم المعرفة وإتاحة العلوم لمختلف الطبقات، بعد أن كانت، وتحديداً في الغرب، حكراً على فئات بعينها تستمد نفوذها من شأن ديني أو تحكُّم سياسي؛ بينما كان هذا شأن عصر الطباعة، فإننا وبعد ٥ قرون وجدنا أنفسنا على النقيض تماماً حينما دخلنا الآن في عصر الثورة الرقمية.

ومع الإقرار بما ينتج عن ثقافة المقاطع السريعة من سلبيات معرفية ونفسية، سنشير لبعضها، فلا يمكن النظر إلى المحتوى القصير بوصفه ظاهرة سلبية بالكامل؛ فقد حقق فوائد عدة، منها:

١- تبسيط المعرفة: فالمحتوى القصير أسهم في تقريب العلوم والأفكار المعقدة إلى الجمهور العام، وجعلها أكثر سهولة وفهماً.

٢- سرعة الوصول إلى المعلومات: إذ لم يعد الوصول إلى المعلومة يحتاج إلى ساعات من البحث، بل أصبح متاحاً بضغطة زر وفي صورة جذابة.

٣- إثارة الفضول المعرفي: فكثير من الكتب والأفكار والقضايا المهمة تعرف عليها

الناس من خلال مقطع قصير دفعهم إلى القراءة والتوسع والبحث.

٤- الجمع بين المعرفة والمتعة: فقد أصبح بإمكان الشباب أن يتلقى المعرفة ممزوجة بالمتعة، والمعلومة مغلفة بعناصر بصرية وسمعية تطرد عنه الملل.

وهْم المعرفة والأثر النفسي

لكن المعرفة الحقيقية لا تقوم على المعلومات المتفرقة وحدها، بل تحتاج إلى ترابط بين الأفكار، وفهم للسياقات، وإدراك للعلاقات بين الأسباب والنتائج.

فالإنسان قد يشاهد عشرات المقاطع حول موضوع معين، لكنه يظل عاجزاً عن تكوين رؤية متماسكة عنه، ومن هنا، يظهر ما يمكن تسميته بـ«وهْم المعرفة»، حيث يظن المرء أنه أصبح خبيراً لمجرد تعرضه لكم كبير من المعلومات المختصرة.

وعلينا أن نأخذ في الاعتبار أن منصات التواصل الاجتماعي تعتمد على خوارزميات تهدف أساساً إلى زيادة التفاعل والمشاهدة؛ ولذلك غالباً ما تنتشر المواد المبسطة أو المثيرة للجدل، أكثر من المحتويات العميقة، وهذا قد يؤدي إلى اختزال القضايا المعقدة في شعارات سريعة، وإلى تكوين مواقف وأحكام مبنية على معلومات ناقصة أو غير متوازنة.

بجانب ذلك، فإن «وهْم المعرفة» ينعكس سلباً على المتلقي من ناحية نفسية، وليس فقط من ناحية معرفية؛ فيصبح أكثر ثقة بالنفس لمجرد إحاطته السريعة ببعض المعلومات أو القضايا، وبالتالي، يصبح أكثر صلابة بقناعات شخصية قد لا تكون صحيحة، ويرفض محاولات تصحيحها، وقد يتعالى على من يناقشه.

صناعة الفكر والمعرفة الجادة صناعة ثقيلة تختلف عن مجرد استهلاك المعلومات أو جمعها وتكديسها؛ فالمفكر لا يتكون من خلال ومضات سريعة، بل من خلال:

١- القراءة المتأنية والغوص في تاريخ الأفكار والمشكلات والعلاقات المتشابكة.

٢- التأمل والمراجعة للوقوف على جوهر النقاشات.

٣- المقارنة والنقد لمعرفة الإيجابيات والسلبيات على نحو أعمق.

٤- الحوار وتبادل الأفكار مع التواضع المعرفي.

٥- تراكم الخبرات والمعارف وتكوين حصيلة معرفية عميقة ومتنوعة.

ولهذا، كان الكتاب والمقال والدراسة والمحاضرة الطويلة أدوات أساسية في تكوين العلماء والمفكرين عبر التاريخ.

وبشيء من الإنصاف، يمكن القول: المشكلة ليست في المحتوى القصير ذاته، بل في اعتباره المصدر الوحيد للمعرفة؛ فهو يمكن أن يؤدي دوراً إيجابياً إذا استُخدم بوصفه مدخلاً إلى التعلم، لا نهاية له، فالمقطع القصير قد يكون دعوة إلى قراءة كتاب، أو متابعة دورة علمية، أو البحث في قضية معينة، لكنه لا يغني عن القراءة المتعمقة ولا عن الحوار والتأمل.

ولهذا، فإن اعتياد المحتوى السريع والاقتصار عليه، قد يؤدي إلى ضعف القدرة على التركيز لفترات طويلة، ويجعل العقل أكثر ميلاً إلى التنقل السريع بين الموضوعات.

كما قد يصبح البحث عن الإثارة والمتعة الفورية معياراً لاختيار المحتوى؛ فتتراجع القدرة على متابعة الكتب والدراسات التي تحتاج إلى صبر وتأمل، ويحل الاختصار محل التحليل، والشعارات محل الأفكار.

التحدي أمام «جيل زد»

وبالرغم من أي سلبيات تنتج عن ثقافة المحتوى القصير، فإن التحدي لا يتمثل في رفض التكنولوجيا أو العودة إلى أنماط التعلم القديمة؛ وإنما في تحقيق التوازن بين سرعة العصر ومتطلبات المعرفة العميقة.

فالمطلوب هو الانتقال:

- من المشاهدة إلى القراءة؛ أي من الصورة إلى الكتاب.
- ومن المعلومة إلى الفهم؛ وذلك بالغوص وراء الخلفيات والتشابكات.
- ومن الاستهلاك إلى التفكير؛ أي الانتقال من موقع المتلقي إلى المنتج، ولو على مستوى التفكير الذاتي.
- ومن التفاعل السريع إلى التعلم المستمر، وعدم اللهاث خلف كل ما يثار.
- ومن القضايا ذات الجدل والإثارة إلى الأكثر اتصالاً بالواقع والحياة.

وهذه النقطة الأخيرة تحديداً هي ما يجعل محتوى المقاطع القصيرة غير معبِّر بالضرورة أو بالدقة اللازمة عما يجري خارج نطاق العالم الافتراضي، من قضايا وأولويات ومشكلات ونقاشات؛ بل قد يجعله فريسة سهلة للتوجيه والتحكم.

قد ينجح المحتوى القصير في جذب الانتباه وإثارة الفضول، لكنه لا يكفي وحده لصناعة المعرفة العميقة أو تكوين الفكر؛ فالمعلومة السريعة قد تكون الشرارة الأولى، أما بناء العقل وتشكيل الرؤية وصناعة الأفكار، فهي عملية طويلة تقوم على القراءة والحوار والتأمل والخبرة، كما أشرنا.

ومن ثم، فالمحتوى القصير ليس عدواً للمعرفة، لكنه أيضاً ليس بديلاً عنها؛ إنه باب للدخول إلى رحابها، أما الطريق الحقيقي للفهم والفكر فيحتاج إلى عمق وصبر وتراكم لا تستطيع الثواني القليلة أن تقوم مقامه.

المحتوى القصير ينجح في إثارة الأذهان وحشد المتابعات حول قضية ما؛ مثل حقوق الإنسان، أو الجرائم والانتهاكات، أو الإبادة الصهيونية في غزة؛ لكنه ليس كافياً لتحويل المعرفة العابرة إلى رأي مفصل، ولا لترجمة الرأي إلى واقع عملي.

ولهذا، فالمحتوى القصير له من اسمه نصيب! ويرتبط بما هو سريع وموجز، ويتسبب أحياناً في الإخلال بجوهر المسألة، فضلاً عن لجوئه إلى الإثارة، ولعل هذه الصفات هي من طبيعة «جيل زد» الذي أكسبته الحياة المعاصرة والعالم الافتراضي هشاشة معرفية ونفسية تضاف إلى ما كان يعانيه جيل الشباب من قبل؛ فأصبحنا أمام هشاشة مضاعفة تجعلنا ننظر بشيء من التقدير إلى شباب كانوا من سنوات معدودة يُتهمون بالسطحية والطيش.

وهذا ما يجعلنا نتعامل مع «جيل زد» وما يعتمد عليه من أدوات معرفية وتثقيفية، من موقع المتفهِّم والمتعاطف، ولا نكتفي بالإدانة، وبالتالي نبحث عن كيفية تعظيم الفوائد من هذه الأدوات، مع تقليل ما ينتج عنها من أضرار.■

المحتوى القصير ينجح في إثارة الأذهان وحشد المتابعات حول قضية ما

صناعة الفكر صناعة ثقيلة تختلف عن مجرد استهلاك المعلومات أو جمعها

لماذا أصبح الاستثمار في المحتوى الهادف ضرورة لا ترفاً؟

تحقيق - جمال سعد:

لم يعد الصراع على «جيل زد» يدور حول كتاب يطالعه أو برنامج يشاهده أو معلم يستمع إليه، بل حول شاشة لا تفارقه، وخوارزمية تتنافس عليها آلاف الشركات يومياً، وصناعة عالمية تضخ مليارات الدولارات من أجل الفوز بأثمن سلعة في العصر الحديث وهي الانتباه.

الأرقام وحدها تكفي لرسم ملامح المشهد؛ فسوق الإعلان عبر المؤثرين عالمياً وصلت إلى نحو ٢٤ مليار دولار، فيما كشف تقرير صادر عن «World Federation of Advertisers» أن ٥٤% من العلامات التجارية العالمية خططت لزيادة إنفاقها على المؤثرين خلال عام ٢٠٢٥م، بينما توقع ٦١٪ من المسوقين أن تزداد أهمية هذا القطاع خلال السنوات المقبلة.

وفي الوقت نفسه، يقترب عدد مستمعي «بودكاست» حول العالم من ٥٨٤ مليون مستمع، ويقدر حجم سوقه بنحو ٣٩,٦ مليار دولار، هذه ليست مجرد أرقام اقتصادية، وإنما مؤشرات واضحة إلى أين تتجه عقول الشباب، وأين تخاض معركة التأثير الحقيقية في القرن الحادي والعشرين.

ولعل المفاجأة الأكبر أن قطاع الإعلام القيمي الترفيهي نفسه لم يعد قطاعاً هامشياً كما يتصور البعض، بل أصبح أحد أسرع قطاعات الصناعات الإبداعية نمواً في العالم.

فبحسب تقارير «Future Market Insights»، و«Fortune Business Insights»، يتراوح حجم سوق الترفيه التعليمي والإعلام القيمي عالمياً بين ٦,٥ و١٣,٥ مليار دولار، مع توقعات بتجاوز حاجز ٥٠ مليار دولار بحلول عام ٢٠٣٥م.

كما تشير تقديرات مؤسسات بحثية متخصصة إلى أن سوق الترفيه التعليمي (Edutainment) ستنمو من ٦,٥٤ مليارات دولار إلى أكثر من ١٤,٣ مليار دولار خلال السنوات المقبلة، بمعدل نمو سنوي يتجاوز ١٠%.

أما اللافت حقاً، أن الأطفال والنشء يمثلون أكثر من ٤٢% من إجمالي إيرادات هذا القطاع، وفقاً لتلك الدراسات؛ ما يعني أن المعركة الاقتصادية الكبرى تدور أساساً حول الجيل الجديد.

وتكشف خارطة السوق العالمية أن أمريكا الشمالية تستحوذ وحدها على نحو ٤٠% من حجم هذا القطاع، فيما تقود منطقة آسيا والمحيط الهادئ أعلى معدلات النمو، مدفوعة باستثمارات ضخمة في التعليم الرقمي والألعاب التفاعلية.

جيل مختلف

هذه الأرقام، في رأي د. رضا عبدالواجد، عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر، ليست مفاجئة؛ لأن الجيل الجديد يتعامل مع المحتوى بطريقة مختلفة تماماً عن الأجيال السابقة.

ويؤكد لـ«المجتمع» أن الإعلام القيمي الحديث لم يعد قائماً على التلقين المباشر، وإنما على المزج بين المتعة والرسالة، موضحاً أن الرسوم المتحركة والألعاب الرقمية و«بودكاست» والمنصات التفاعلية أصبحت أدوات رئيسة في تشكيل وعي الأطفال والشباب.

ويضيف أن العالم يتجه اليوم نحو ما يمكن تسميته بـ«صناعة التأثير»، حيث لم تعد القيمة الحقيقية فيما يقال فقط، بل في

الطريقة التي يقدم بها، وهو ما يفسر حجم الاستثمارات الضخمة التي تضخ في هذا القطاع عالمياً.

ويحذر عبدالواجد من أن الاقتصار على الخطاب التقليدي وحده لم يعد كافياً في عصر يتعرض فيه الشباب يومياً لآلاف الرسائل الإعلامية القادمة من مختلف أنحاء العالم.

لغة الدراسات تؤكد هذا التحول، فوفق دراسة نشرتها «HARVARD BUSINESS REVIEW»، يرى ٨٨٪ من المستهلكين أن المصداقية العامل الأهم في متابعة المؤثرين، بينما يعتقد نحو ثلث المشاركين أن كثيراً من المؤثرين يمارسون قدراً من التضليل التسويقي.

وفي عالم الألعاب الرقمية، تستحوذ الألعاب التعليمية والهادفة على نحو ٤٧٪ من سوق الترفيه التعليمية العالمية، بينما تجاوز حجم سوق الألعاب التعليمية والقيمية أكثر من ١١ مليار دولار، مع معدلات نمو سنوية تتجاوز ١٩%.

كما تشير دراسات علمية إلى أن الألعاب التفاعلية الهادفة ترفع من معدلات استيعاب القيم والمهارات السلوكية بنسبة تصل إلى ٤٠٪ مقارنة بالوسائل التقليدية، بفضل اعتمادها على المشاركة واتخاذ القرار بدلاً من التلقي السلبي.

أما «بودكاست»، الذي كان حتى سنوات قليلة مجرد وسيلة إعلامية محدودة الانتشار، فقد تحول إلى صناعة كاملة؛ إذ تجاوز الإنفاق الإعلاني المرتبط به ٤,٤ مليارات دولار عالمياً، مع ارتفاع مستمر في أعداد المتابعين.

وترى د. أمل السيد، رئيسة قسم الصحافة بكلية الإعلام بجامعة القاهرة، أن العالم العربي يمتلك بالفعل نماذج تؤكد إمكانية الجمع بين الرسالة والنجاح الجماهيري.

وتقول لـ«المجتمع»: إن عدداً من التجارب استطاع أن يثبت أن المحتوى القيمي ليس بالضرورة محتوى نخبوياً أو محدود الانتشار، بل يمكن أن يتحول إلى منتج جماهيري واسع التأثير إذا توافرت له الجودة والاحترافية.

وتشير إلى تجربة «فنجان» السعودية بوصفها واحدة من أبرز نماذج «البودكاست» العربي؛ إذ تجاوز إجمالي مشاهداته واستماعاته ٣٧٥ مليوناً، بينما دخلت إحدى حلقاته موسوعة «غينيس» بعدما حققت أكثر من ١٢٠ مليون مشاهدة.

كما تلفت د. السيد إلى نجاح تجارب الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال، التي قدمت القيم والهوية العربية في قوالب ترفيهية جذابة، مؤكدة أن المنافسة لم تعد بين المحتوى الجاد والمحتوى الترفيهي، بل بين المحتوى الجيد والمحتوى الرديء.

«جيل زد» لن يهرب من الشاشات لكنه قد يختار البديل الأفضل إذا وجد من يستثمر فيه

الاستثمار في الإعلام الهادف استثمار مباشر في الإنسان والهوية ومستقبل المجتمع كله

استثمار ذكي

ولا تتوقف الفرص عند حدود «بودكاست» أو رسوم متحركة، فوفق تقرير «IMARC GROUP» بلغ حجم سوق تكنولوجيا التعليم في الشرق الأوسط نحو ١٢,٣ مليار دولار، مع توقعات بارتفاعه إلى ٢٧,٣ مليار دولار خلال السنوات المقبلة.

كما تتوقع تقارير «RESEARCH AND MARKETS» أن يصل حجم سوق التعلم الإلكتروني في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى نحو ٣٥,٧ مليار دولار، مدفوعاً بالتحول الرقمي المتسارع وارتفاع أعداد المستخدمين الشباب.

وفي السياق نفسه، يتوقع تقرير «MORDOR INTELLIGENCE» أن يصل حجم سوق الإعلام والترفيه في الشرق الأوسط إلى أكثر من ٧٦ مليار دولار، وهو ما يفتح الباب أمام دمج التعليم والقيم والترفيه داخل منتجات رقمية قادرة على المنافسة وتحقيق العائد الاقتصادي.

وقد نجحت بالفعل منصات عربية مثل «نون أكاديمي» و«ألف للتعليم» و«إدراك» و«لمسة» و«عصافير» في جذب ملايين المستخدمين، والحصول على استثمارات وتمويلات كبيرة، مستفيدة من الجمع بين التعليم والتفاعل والألعاب الرقمية.

ورغم هذه المؤشرات الواعدة، لا تزال هناك فجوة واضحة بين حجم السوق وحجم الاستثمارات الموجهة إلى المحتوى القيمي العربي؛ فالمراصد الإعلامية تشير إلى أن أقل من ١٥% من الشركات الكبرى توجه جزءاً من ميزانياتها الإعلانية إلى المنصات والقنوات القيمية المتخصصة، فيما تعرضت نسبة ملحوظة من المشاريع الإعلامية الهادفة خلال السنوات الماضية للتعثر أو الإغلاق بسبب ضعف التسويق وغياب النماذج الاقتصادية المستدامة.

وهنا تبدو المشكلة الحقيقية؛ فالفكرة موجودة، والجمهور موجود، والسوق موجودة، لكن الاستثمار ما زال أقل من الإمكانات المتاحة بكثير.

فرصة تاريخية

قبل أكثر من ١٥ عاماً، أوصت ندوة «الإعلام القيمي بين الفكر والتجربة» التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية -آنذاك- بضرورة إشراك القطاع الخاص ورجال الأعمال في تمويل الإعلام القيمي وتطوير أدواته والاستفادة من التقنيات الحديثة لضمان استمراره وقدرته على المنافسة.

وبعد مرور كل هذه السنوات، تبدو تلك التوصيات أكثر راهنية من أي وقت مضى، فالمتوقع أن تصل إيرادات صناعة الإعلام والترفيه عالمياً إلى ما بين ٢,١ و٢,٦ تريليون دولار بحلول عام ٢٠٣٠م، وأن تمثل الإيرادات الرقمية أكثر من ٦٠% من إجمالي السوق.

وفي عالم تتنافس فيه الشركات على كسب دقائق من انتباه الشباب، يصبح السؤال الأكثر إلحاحاً: هل نكتفي بالشكوى من المحتوى الهابط، أم ندخل المنافسة بصناعة محتوى أكثر جودة وجاذبية؟

الحقيقة التي تؤكدها الأرقام أن «جيل زد» لن يهرب من الشاشات، ولن يتوقف عن استهلاك المحتوى الرقمي، لكنه قد يختار البديل الأفضل إذا وجد من يستثمر فيه بالقدر نفسه من الاحترافية والذكاء والإبداع، وهنا تحديداً لا يصبح الاستثمار في الإعلام الهادف عملاً خيرياً أو ترفاً ثقافياً، وإنما استثمار مباشر في الإنسان، وفي الهوية، وفي مستقبل المجتمع كله. ■

رسالة المسجد في العصر الرقمي..
بين الواقــع والمأمــول

د. إبراهيم أحمد مهنا
عضو المكتب التنفيذي في هيئة علماء فلسطين

لقد كان المسجد عبر التاريخ الإسلامي من أهم مرتكزات الحضارة الإسلامية، فللمسجد مكانة سامقة في الإسلام، منه ينطلق الإشعاع الإيماني، والحراك الدعوي العالمي، وإليه يلجأ من يروم صناعة الرجال.

وتتجلى محورية المسجد في العمارة الإسلامية، فالمسجد الجامع في قلب المدن الإسلامية، ومن حوله تتشكل مرافق المدينة الحيوية من إدارات ومتاجر ومصانع ومساكن، ولم يقتصر اهتمام المعماريين المسلمين في تصميم المساجد بالنواحي الجمالية والفنية والعملية في عمارتها، بل أولوا الملحقات الأساسية والفرعية في تخطيط عمرانها لتلبي احتياجات الدور المنوط بها كأماكن للصلاة والتعليم والإفتاء والوعظ والإرشاد.

وبقي المسجد محافظاً على دوره وريادته عبر العصور، إلا أنه في العصور الحديثة تم تجريده من كثير من أدواره فأصبح مجرد مكان لأداء شعيرة الصلاة سرعان ما يغلق بعدها، وأُبعد عن منابرها كثير من الدعاة العاملين والعلماء الربانيين في عدة دول إسلامية، ففقد المسجد دوره كحاضنة للشباب ومكان تتعلق فيه قلوب المؤمنين.

ولاستعادة دور المسجد الريادي في حياتنا، خاصة في استقطاب جيل الشباب، ما بات يُعرف بـ«جيل زد»، الذي انغمس في استعمال الوسائل الرقمية وصارت جزءاً لا يتجزأ من حياته، لا بد من إطلاق نهضة في العمل المسجدي تلبي احتياجات الشباب، وتستثمر طاقاته في الاتجاه الصحيح لعمارة الأرض، ولاستعادة ريادة المسلمين كحملة لرسالة الله وما يترتب على ذلك من واجبات.

على إدارة المسجد إشراك الشباب في إطلاق مواقع إلكترونية للمسجد لبث الدروس وخطب الجمعة

وفيما يأتي بعض المقترحات التي قد تخدم هذا الجانب.

أولاً: المسجد الرقمي:

ليس المقصود بالمسجد الرقمي تحويل المساجد إلى كيانات افتراضية، بل المقصود أن يصبح لكل مسجد في العالم الحقيقي وجود مؤثر في العالم الافتراضي، فتحرص إدارة المسجد على إشراك الشباب في إطلاق وإدارة مواقع إلكترونية للمسجد في المنصات المتاحة، يتم من خلالها بث دروس المسجد وخطب الجمعة، ونشر مقاطع قصيرة لأهم مقتطفات الدروس والخطب، ويطلق منتديات ثقافية يتحاور فيها أهل

المسجد وغيرهم فتتلاقح الأفكار وتشحذ الهمم وتتناقل التجارب والخبرات، ومن خلالها يمكن استضافة شخصيات دعوية عالمية شعبية ورسمية تثري الحوار وترفع مستواه.

ومن مهمات المنصات الرقمية للمساجد تفعيل الجانب الاجتماعي لروادها، ومتابعة أحوالهم وأخبارهم، وهذا مدخل عظيم لتحقيق التكافل بينهم وتمتين أواصر الأخوة، ومن خلالها يتعرف الناس على أحوال المسلمين والأقليات الإسلامية في العالم، فنحقق مفهوم الأمة الواحدة، ونصبح بحق أمة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ثانياً: المسجد الشامل:

ومن وسائل استقطاب الشباب خاصة ليكونوا من عمار المساجد، تطوير بنية المساجد لتضم في جنباتها قاعات للأنشطة المختلفة كمكتبة رقمية، وقاعة للمنتديات مزودة بأحدث وسائل التقنية، ومتحفاً إسلامياً يربط الشباب بمقدساته، وقاعة دعوية للتعريف بالإسلام، وقاعة لعرض المواد المرئية الإسلامية بتقنية الأبعاد الثلاثية، وقاعة مجهزة لعقد الدورات التدريبية.

ويكفي وجود مسجد شامل واحد في كل حي من أحياء المدينة، يجمع شبابه في جنباته، يقدم لهم الرعاية المتكاملة الشاملة، ومؤشر النجاح في استقطاب الشباب هو إطالة أمد بقائهم في المساجد حباً ورغبة، والشوق إلى الرجوع إليها بعد خروجهم منها، فيتحقق فيهم «شاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد».

وهناك تجارب ناجحة في تحقيق المسجد الشامل، ولكنها تحتاج إلى تطوير دائم، من ذلك تجربة مسجد الدولة الكبير في الكويت، حيث تقوم إدارته بفعاليات دورية عامة متنوعة، من منتديات ومعارض واستضافات، وأخرى خاصة بغير المسلمين لترغيبهم في الإسلام وتعريفهم بقيمه.

ومنها ما قامت به تركيا مؤخراً؛ حيث افتتحت جامع تشاملیجا في إسطنبول، ويضم متحفاً إسلامياً رائعاً، وقاعات عديدة من ضمنها قاعة تعرض أهم المساجد في العالم الإسلامي باستخدام التقنيات الحديثة، بالإضافة إلى مقهى واستراحة.

وللنجاح في استقطاب الشباب واستعادة دور المساجد كمصانع للرجال، وحاضنة

من وسائل استقطاب الشباب ليكونوا من عمّار المساجد تطوير بنيتها لتضم قاعات للأنشطة المختلفة

على الدعاة المعاصرين رفع مهاراتهم في التأثير والتمكن من العلوم ومواكبة وسائل التقنية

للعلم الشرعي، ومركز للنهوض الحضاري، لا بد من التغلب على التحديات التي تواجه هذا المسار، ويمكن تقسيمها إلى تحديات داخلية وأخرى خارجية.

أولاً: التحديات الداخلية:

إن أبرز التحديات التي تواجه تجسير الفجوة بين جيل الشباب والمؤسسة الدينية بما فيها من مساجد ومراكز ودعاة وخطباء، هو عدم جاذبية الخطاب الدعوي، فما زال الخطاب الدعوي تقليدياً لم يرق إلى استثمار أدوات العصر الحديث الرقمية، وطرق التأثير الفعالة، ولم يقترب من اهتمامات الشباب من حيث الموضوعات المتداولة ولا من حيث طريقة طرحها.

فما زال أسلوب التلقين مهيمناً على المحاضرين، بل إن كثيراً من المحاضرين يمنعون أو يحدون من مشاركة الجمهور وإبداء وجهات نظر أخرى أو طرح أسئلة جريئة، إما لعجزهم عن الإجابة بشكل مقنع، أو لعدم اعتيادهم على مجرد مقاطعتهم أثناء الحديث.

إن أمام الدعاة المعاصرين تحدياً كبيراً يلزمهم العمل على رفع مهاراتهم في التبليغ والتأثير، والتمكن من العلوم التي يدرسونها، ومواكبة كل جديد من أدوات ووسائل التقنية، والانتقال من أسلوب التلقين -الذي لا يصلح إلا للأطفال في مرحلة سنية مبكرة- إلى أسلوب الحوار المتبادل، وتنزيل العلوم النظرية على الواقع المعيش، والمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة، والاهتمام بعلم المقاصد والأولويات والتأصيل الشرعي للنوازل المعاصرة، والاهتمام باحتياجات الشباب وبيان البدائل الشرعية للمحظورات.

وعلى القائمين على العمل الدعوي إشراك الشباب في وضع الخطط والبرامج التي تهمهم وتلبي طموحاتهم، ولا ينبغي التعامل معهم بنوع من الفوقية وفرض طقوس في طريقة تحيتهم واستقبالهم، فالاحترام والتقدير لا يفرض فرضاً، بل يأتي تلقائياً ببركة بذل العلم والإخلاص فيه.

ثانياً: التحديات الخارجية:

التعرف على التحديات يعيننا على التغلب عليها ووضع الحلول المناسبة لتجاوزها، ولعل من أبرز التحديات الخارجية التي تعيق جذب الشباب لعمارة المساجد، هو ضعف صورة المساجد في الإعلام وتصويرها على أنها مجرد أماكن لأداء صلاة الجمع والجماعات، ولعل العمل على مشروعيّ المسجد الرقمي والشامل يصوب نظرة الشباب إلى المساجد.

أما التحدي الخارجي الأكبر فهو ما يمكن تسميته «الحرب الرقمية»، وهي حرب شرسة بين دعاة الفضيلة والرذيلة، حيث يبث أعداء الأمة سمومهم في الفضاء الإلكتروني، وقد نجحوا بدخول عالم الشباب حتى أصبح العالم الافتراضي جزءاً مهماً في حياتهم، ووسيلة فعالة في التأثير عليهم وتوجيه مسارات مستقبلهم، بل صارت البرامج والتطبيقات والألعاب الرقمية تعيد صياغة القيم والأخلاق في المجتمع.

وإن صعوبة توفير أسباب المعيشة الكريمة للشباب في ظل التضخم الاقتصادي الذي تعاني منه كثير من مجتمعاتنا، مع ارتفاع نسبة البطالة، سيؤثر بالضرورة على ارتفاع سن الزواج وتفشي العنوسة بين الإناث والذكور، على حد سواء، وهذا سيزيد من الضغوط النفسية والاجتماعية التي تواجه الشباب مما يقلل من ارتباطه بالمساجد؛ وعليه، فإن الشباب اليوم هم الأكثر حاجة لبيئة صحية تعينهم على مواجهة هذه التحديات وتأخذ بهم برفق إلى بر الأمان، وليس أفضل من المساجد للقيام بهذا الدور الحيوي إن نجحنا في:

١- استعادة دورها الريادي.

٢- مواجهة التحديات المتجددة بخطاب ديني يتسم بالمرونة والواقعية.

٣- إدارة المساجد من جهة فنية تتعاون مع المختصين في مجالات التقنية، والتدريب والإرشاد الأسري والتوجيه القيمي؛ ما يجعلها أكثر قدرة على تقديم محتوى مؤثر يتماشى مع المتغيرات في عصرنا. ■

الدعوة في عصر «الإنفوميديا».. تحديات الشباب وتحولات الخطاب

جمال بخيت الخلايلة
كاتب روائي وشاعر

ليس من العسير على الدعاة أن يدركوا تلك الآثار الجمة التي أحدثتها الثورة المعلوماتية (الإنفوميديا) على شريحة الشباب التي هي مستهدفهم الأول من الدعوة، فقد أعادت تلك الثورة الشباب خلقاً آخر يغاير تمام المغايرة أجيال الآباء والأجداد، ويتعين عليهم أن يقدحوا الفكرة في هذه الآثار، وأن يغوصوا في أعماقها حتى يقدروا على صياغة أساليب دعوية ذات مرونة تكفل لها التكيف مع تلك المتغيرات، ولها القدرة على النفاذ إلى دواخل الشباب، فتفكك تعقيداتهم النفسية، وتشخص مشكلاتهم التي خلفتها تلك الثورة.

كان الناس فيما غبر من الزمان، وإلى عهد قريب، يتلقون الدعوة المواعظ من فوق المنابر أو على دكك الواعظين، وكانوا يقنعون بها، ويلبون نداءها إن كان صادراً عن قلب نقي ولسان ذكي، ولم يكن يجول في خواطرهم أن ينظروا فيما يسمعون أو يقلبوا فيه الرأي، ولا يخطر ببالهم أن يقفوا على ما يغاير الذي سمعوا، وكان البحث والمقارنات آنئذٍ حكراً على نخب العلم والفكر.

ولكن شبيبة اليوم ليسوا هكذا، فقد غمرتهم ثورة الاتصالات بسيل عرم من المعلومات، تضع بين أيديهم كثيراً من الآراء، وتعرض لهم القول وما يناقضه، وهنا تجري المقارنة لدى الشباب رغماً عنهم، وقد يختلط لديهم من ذلك حابل المعلومات بنابلها، فيغم عليهم الأمر، فيعوزهم من يهديهم إلى قول الحق، ويفرز لهم الغث من السمين، وتلك مهمة الدعاة، ويتوجب عليهم النهوض بها، والنهوض يقتضي القدرة على الفرز، والقدرة بدورها يعوزها الثراء المعلوماتي بصحبة المهارة.

ومن مثالب تلك الثورة المعلوماتية على جيل الشباب أنها خلقت فيهم القلق الوجودي، وأثارت التساؤلات القاسية: من نحن؟ ولمَ جئنا إلى هذه الدنيا؟ وتولَّد فيهم من ذلك تمزق نفسي مؤلم، وراحوا يرقبون في لهفة منجداً لهم من ذلك التيه، وتلك فرصة سانحة للدعاة أن يكونوا هذا المنجد والمخلص، فيشتبكون مع الشباب مرشدين لهم إلى طريق الخلاص، آخذين بنواصيهم إلى سبيل الله.

وتولد مع هذا القلق الوجودي الشعور بالاغتراب، على الرغم من ذلك الزحام الذي يزخر به الفضاء الأزرق، ومن قدر على انتشال جماهير الشباب من اغترابهم هذا فاز بهم تابعين ومريدين، وليس غير دعاة الحق خليقاً بتلك المهمة، فعليهم صناعة مجتمع افتراضي يلبي رغبة الشباب، ليأنسوا به من وحشتهم، ويدفع عنهم شعور الغربة المرير.

ولأن مواقع التواصل كلأ مباح ميسور الارتياد لكل مبتغٍ، فقد جعلت شباب المسلمين يلتقون وجهاً لوجه مع المخالفين، والمخالفون لا يضمرون لملة الإسلام خيراً، فألقوا على الشباب شبهات وشبهات، وأكثر الشباب لا عهد له بها، فضعضعت عقيدة الكثيرين منهم، وأثارت الريب في آخرين، وليس أمام دعاة الإسلام إلا النزول إلى ميدان المواجهة، والتصدي لغائلة الشانئين، ذوداً عن عقول الشباب وقلوبهم.

وكل الذي سلف من مهام ألقيت على عواتق الدعاة لا تصلح لإنجازها طرائق الدعوة التي كانت، طرائق الوعظ الملقى والخطب المسرودة، فإنها قد تجاوزها الزمان وفقدت صلاحيتها، وإنما يوائم هذه المهمة سبيل الحوار، والاشتباك والمناقشة، فهو الأجدى والأنفع، وهو الخليق بتحفيز الشباب لإفراغ مكنون ذواتهم، والتصريح بما يعتمل في صدورهم، فيكون من ذلك الراحة لهم من آلام الحيرة وعذابات الاغتراب، فينقادون طائعين لداعية الحق، ضاربين الذكر صفحاً عن أرباب التشكيك، هاربين من دروب التيه وسبل الضياع.

ومع التحاور، وبصحبته، يأتي طريق القصص الأدبي مسانداً ومعيناً، فهو الميسور في التناول، والمحبب إلى القلوب، والجاذب لها، فليكن للدعاة منه نصيب غير منقوص، فليصيغوه إبداعاً، أو ليلقوه من كتب التاريخ بمهارة، وليبثوا خلال قصصهم ما يحبون من أفكار تخدم المرام الذي يبتغون.

على الدعاة اقتفاء أثر الأنبياء والمرسلين، فإنهم لم يقصروا دعوتهم على الوعظ والإرشاد، بل حاوروا وناقشوا، وضربوا الأمثلة، وحكوا الحكايات، واستمعوا إلى الأتباع وأصغوا لهم السمع، يجيبونهم عما يسألون، ويفندون لهم الشبهات التي تعترضهم أو يثيرها الغرماء والكارهون، فبنوا بدعوتهم أجيالاً صمدت بإيمانها لكل عاديات الزمان. ■

تصورات «جيل زد» حول الـــزواج والطـــلاق

د. فاطمة حافظ

باحثة في التاريخ

المجتمعات العربية مجتمعات شابة إذ تجمع الإحصاءات على كون ثلث سكان العالم العربي هم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ – ٢٩ عاماً؛ وهو ما يعني أن ثلث الكتلة الديموغرافية العربية تنتمي إلى ما يطلق عليه «جيل زد»، الذي يستقي أفكاره من الوسائط الرقمية، وهي تشكل الرافد الرئيس للتصورات حول الذات والعلاقات والأشياء، وفي السطور التالية نحاول أن نبين تصورات هذا الجيل حول الزواج والأسرة، وكيف أثرت فيها الرقمية.

الزواج.. من ممارسة اجتماعية إلى فردية:

كان الزواج في المجتمعات التقليدية السابقة في مقدمة أولويات الشباب، فلم يكن يتقدم عليه أي أولوية أخرى حتى العمل، إذ كان كثير من الشباب يتزوج في سن صغيرة ويعيش في كنف الأسرة الممتدة التي تتولى الإنفاق على الزوجين الصغيرين، لكن هذه الأولوية تراجعت كثيراً منذ عصر الحداثة، وحلت محلها أولويات أخرى كالتعليم والعمل والهجرة، وتشير الإحصاءات بوضوح إلى هذا التراجع.

فعلى سبيل المثال، كشف استطلاع أولويات الشباب العربي لعام ٢٠٢٤م إلى أولوية الزواج لدى في الدول الخليجية لا تتجاوز ٣٥٪، وكشفت إحصائية رسمية جزائرية إلى أن نسبة العزوف عن الزواج بين الشباب الجزائري بلغت ٥٠٪، وأضافت أن ٤٣% من الشباب العازفين يفضلون الهجرة عن الزواج.

وثمة تغير آخر جوهري طرأ على تصور الشباب للزواج، إذ كان الزواج فيما مضى ممارسة اجتماعية بالأساس تنخرط فيها الأسر والعائلات في مرحلة ما قبل الزواج إذ كانت الأسرة المسؤولة عن الاختيار ولم يكن للأفراد دور كبير في ذلك، إذ كان يقع عليها عبء إعالة الزوجين إن كانا صغيرين أو طرأ لهما تعثر مالي، وكانت تؤدي الدور الأكبر في فض النزاعات الزوجية.

لكن هذه السردية اختفت الآن؛ إذ إن الشباب من «جيل زد» الرقمي لا يسمح للأسرة بممارسة تلك الأدوار، فهو من يقوم باختيار الشريك، وكثيراً ما يكون الاختيار عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي أو مواقع مخصصة للزواج.

وقد أظهرت بعض الدراسات أن هذه الوسائل غير التقليدية تتمتع ببعض المزايا التي لا توفرها الوسائل التقليدية، من مثل توفير فرص أكبر للاختيار بين الرجال والنساء، والسماح باختيار أشخاص لهم اهتمامات متقاربة، كما يبدو ذلك من صفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، كما أنها تسمح بتجسير المسافات الجغرافية وتيسر سبل التعارف الإلكتروني، وترفع قيود الحرج حيث تتم بمعزل عن الأسرة والمحيط الاجتماعي.

«جيل زد».. وإعادة تعريف الأدوار:

توصف الأسر العربية عادة بأنها أسر «أبوية»؛ إذ إن سلطة اتخاذ القرارات يقوم بها الأب عادة، على حين يقع على الأم عبء تنفيذ هذه القرارات، لكن الأسر التي أقامها أبناء «جيل زد» يتعذر وصفها بأنها أسر أبوية الطابع، إذ لم يعد الشباب يتقبل التقسيمة التقليدية السابقة القائمة على أن العمل وكسب المال من اختصاص الرجل، وهو ما يؤهله يمنحه السلطة الحصرية في اتخاذ القرارات.

على حين تضطلع المرأة بمهمة رعاية شؤون الأسرة والأطفال، فهناك تيار متزايد يبحث عن اختيار شريكة ورفيقة للحياة، وليس زوجة تؤدي الدور الأمومي، وكذلك الزوجة بحكم التعليم والعمل صارت أكثر تمرداً على تلك الأدوار النمطية ولم تعد ترى في نفسها مدبرة منزل، وإنما شريكة في إدارة المنزل واتخاذ القرارات المتعلقة به.

في ظل هذا السياق، يعيد «جيل زد» تعريف المفاهيم الأساسية التي حكمت الأسرة، مثل القوامة، والشراكة، والمساواة، وهي الموضوعات التي تشغل بال المجتمعات العربية حالياً، ويفترض البعض أنها نشأت بفعل تسلل الفكر النسوي الغربي، لكن الإحصاءات الحديثة لا تدعم هذا الافتراض.

إذ تشير تقارير «الباروميتر العربي» إلى أن نسبة تفوق ٧٠% من الشباب في المغرب العربي والخليج، تدعم حق المرأة في العمل والاستقلال المالي بعد الزواج، وترفض رفضاً مطلقاً نموذج المرأة التابعة للرجل، الذي كان يروج له سابقاً، وتؤكد أن الشباب الذكور من «جيل زد» لديه قبول متزايد لفكرة المشاركة في الأعباء المنزلية ورعاية الأطفال، في مقابل مشاركة الزوجة في الأعباء المالية للأسرة.

التطبيع الاجتماعي مع الطلاق:

ثمة تحول بنيوي في رؤية «جيل زد» للطلاق، إذ كان الطلاق في العهود السابقة أمراً منبوذاً وتعبيراً عن الإخفاق في إقامة علاقة اجتماعية ناجحة، فإن «جيل زد» لم يعد يرى في الطلاق إخفاقاً أو وصمة اجتماعية، بل هو خيار ذاتي عقلاني يقدم عليه المرء إن لم يلب شريكه توقعاته وطموحاته المفترضة؛ وهو ما يعني أن فلسفة الصبر والتضحية من أجل الحفاظ على كيان الأسرة والأبناء لم تعد قائمة، وحل محلها الفردانية والبحث عن الرضا الذاتي، وفي هذا السياق غدا الطلاق تصحيح مسار، ووسيلة لإنهاء علاقة غير متوافقة.

وتعد الرقمية أحد العوامل التي تؤدي إلى عدم التوافق بين الزوجين الذي ربما انتهى إلى الطلاق، إذ يشير تقرير «تقييم العلاقات الزوجية خلال السنوات الخمس الأولى من الزواج في العالم العربي»، الذي أعده مركز الدوحة للأسرة عام ٢٠٢٤م، إلى أن الخيانة بصفة عامة تعد السبب الأول للطلاق في الأسر التي تكونت حديثاً، وتشكل اكتشاف الخيانة عبر مواقع التواصل الاجتماعي نسبة ٧,٧٪ من أسباب الطلاق، على حين تشكل النسوية والأفكار الغربية نسبة ١% فقط من أسباب الطلاق.

إن أبناء «جيل زد» الرقمي يحملون تصوراً يختلف اختلافاً جذرياً عن تصورات الأجيال السابقة لكل من الزواج والطلاق، ويقوم هذا التصور على اعتبار الزواج مشروعاً فردياً يستهدف تحقيق مصالح ذاتية، ونزع الوصم الاجتماعي عن الطلاق. ■

السياسة الإيرانية تجاه الخليج العربي.. الجذور التاريخية والتحولات المعاصرة (1)

أ.د. فرست مرعي
كاتب وأكاديمي عراقي

شـكّلت منطقة الخليج العربي عبر التاريخ محوراً أساسـياً في السياسة الإيرانيـة، ليـس فقط بسـبب أهميتهـا الاقتصاديـة والإسـتراتيجية، بل أيضـاً لارتباطها العميق بفكـرة النفوذ الإقليمي في الوعي السياسـي الفارسي منذ العصور الإمبراطورية القديمة.

وقـد تعاقبت على إيـران أنظمة وسلالات مختلفـة، إلا أن نظرتها إلى الخليـج العربي والدول العربية المجاورة بقيت محكومة بعوامل الجغرافيا والطموح السياسي والسعي إلى بسط النفوذ.

منذ العهد الصفوي مروراً بالقاجاري ثم البهلوي وصولاً إلى الجمهورية الإسلامية، ظل الخليج يمثل المجال الحيوي الأكثر أهمية في الإستراتيجية الإيرانية، بينما تعرّض العرب في مناطق جنوب إيران، ولا سيما إقليم عربستان والأحواز والسواحل الشرقية المطلة على الخليج العربي، إلى سياسات هدفت إلى تقليص هويتهم العربية وإدماجهم ضمن المشروع القومي الإيراني.

مع قيام الدولة الصفوية في مطلع القرن السادس عشر (١٥٠١ - ١٧٢٢م) بدأت إيران تدخل مرحلة جديدة من المركزية السياسية والمذهبية، إذ اعتمد الصفويون المذهب الشيعي الإثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، في خطوة لم تكن دينية فحسب، بل سياسية أيضاً، هدفت إلى تمييز إيران عن محيطها العثماني السُّني وعن البيئة العربية المحيطة بالخليج.

وقد أدرك الصفويون مبكراً أهمية الخليج العربي في التجارة الدولية والصراع مع القوى المنافسة، فسعوا إلى السيطرة على موانئه ومياهه الحيوية، وفي تلك المرحلة ظهرت بوادر التنافس الفارسي العربي على مناطق الساحل الشرقي للخليج، خاصة في عربستان التي كانت تتمتع بوجود عربي تاريخي وقبائل مستقلة نسبياً عن السلطة المركزية في فارس.

التحالف الصفوي البرتغالي:

وقد شكّل التحالف الصفوي البرتغالي أحد أبرز المظاهر التاريخية للصراع على الخليج العربي خلال بدايات

العصر الحديث، إذ تلاقت المصالح السياسية والعسكرية بين الدولة الصفوية والإمبراطورية البرتغالية في مواجهة الدولة العثمانية والقوى العربية المحلية المسيطرة على طرق التجارة والموانئ البحرية.

فمع وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي والخليج العربي مطلع القرن السادس عشر بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك، بدأت البرتغال تنفيذ مشروع استعماري يهدف إلى السيطرة على الممرات البحرية والتجارة الشرقية، خاصة بعد نجاحها في احتلال هرمز عام ١٥١٥م، وتحويلها إلى قاعدة بحرية إستراتيجية للتحكم بالملاحة في الخليج العربي وبحر العرب.

عُمان.. ونهاية النفوذ البرتغالي:

وأدى العرب في عُمان دوراً محورياً في تاريخ السيطرة الفعلية على مضيق هرمز، لكن من المهم توضيح أن الأمر لم يكن سيطرة مطلقة ودائمة بقدر ما كان تفوقاً بحرياً ونفوذاً إستراتيجياً متكرراً في فترات تاريخية محددة، خصوصاً خلال القرن السابع عشر.

وبرزت عُمان بوصفها قوة بحرية عربية مستقلة منذ صعود دولة اليعاربة في أوائل القرن السابع عشر، حين تمكن الإمام ناصر بن مرشد، ثم خلفاؤه من بعده، من بناء أسطول بحري قوي استطاع مواجهة الوجود البرتغالي الذي كان يهيمن على الموانئ والممرات البحرية في الخليج العربي وبحر العرب.

غير أن التحول الكبير حدث في عام ١٦٥٠م عندما نجحت القوات العُمانية في طرد البرتغاليين من مسقط، ثم توسعت عملياتها البحرية تدريجياً لتشمل مناطق واسعة من الخليج والمحيط الهندي، وقد شكّل هذا الحدث بداية نهاية النفوذ البرتغالي المباشر في مضيق هرمز، حيث فقدت البرتغال قدرتها على التحكم الكامل بالممر البحري، رغم استمرار وجودها التجاري والعسكري في بعض الجزر والمراكز لفترة لاحقة.

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، أصبحت السفن العُمانية العربية

الصفويون أدركوا أهمية الخليج العربي في التجارة الدولية والصراع مع القوى المنافسة فسعوا إلى السيطرة عليه

التحالف الصفوي البرتغالي شكّل أبرز المظاهر التاريخية للصراع على الخليج العربي خلال بدايات العصر الحديث

قوة بحرية مؤثرة في المنطقة، وتمكنت من فرض حضور قوي في الملاحة والتجارة، وأحياناً أدت دور الضابط غير الرسمي لحركة المرور في مضيق هرمز، خاصة في ظل ضعف القوى الإقليمية الأخرى وتراجع النفوذ البرتغالي ثم الهولندي والبريطاني لاحقاً.

إلا أن هذا النفوذ لم يتحول إلى سيادة قانونية أو احتكار كامل للمضيق، لأن المنطقة بقيت مفتوحة للتنافس بين قوى متعددة، منها العثمانيون، والفرس، ثم لاحقًا البريطانيون.

بداية النفوذ البريطاني في الخليج:

ففي القرن التاسع عشر، بدأ النفوذ البريطاني يتعاظم في الخليج العربي، باعتباره الممر الذي يربط بين الهند وأوروبا، ومعه تراجع الدور البحري العُماني تدريجياً، رغم استمرار عُمان كقوة محلية ذات أهمية إستراتيجية.

ومع دخول القرن العشرين، أصبح مضيق هرمز خاضعاً عملياً لمعادلة دولية وإقليمية معقدة، لم تعد فيها أي دولة منفردة قادرة على السيطرة الكاملة عليه، بل أصبح ممراً دولياً حيوياً تخضع حركته لتوازنات القوى في الخليج.

وفي الوقت ذاته، كانت الدولة الصفوية الناشئة بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي تخوض صراعاً مفتوحاً مع الدولة العثمانية التي مثلت القوة الإسلامية الكبرى في المنطقة.

وقد أدرك الصفويون أن التعاون مع البرتغاليين يمكن أن يحقق لهم مكاسب إستراتيجية عبر إضعاف النفوذ العثماني ومحاصرة امتداده البحري في الخليج والبحر الأحمر.

لذلك، ظهرت أشكال من التنسيق السياسي والعسكري غير المباشر بين الطرفين، تمثلت في تبادل المصالح والسماح للبرتغاليين بتعزيز وجودهم البحري مقابل الاستفادة الصفوية من الضغط البرتغالي على العثمانيين والتجارة العربية، كما سمح الصفويون بدخول المنظمات التنصيرية (التبشيرية) من كاثوليكية وبروتستانتية وإنجيلية إلى إيران دون الخوف من عواقب هذا العمل الخطير على مستقبل الشعوب الإسلامية التي تعيش في الهضبة الإيرانية.

التعاون الصفوي الصليبي:

لكن المؤكد تاريخياً أن الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٨م) انتهج سياسة تقارب واسعة مع القوى الأوروبية المسيحية، خاصة البرتغاليين والإنجليز والإسبان والفاتيكان، بهدف تكوين جبهة صليبية ضد الدولة العثمانية، وقد استقبل مبعوثين ورجال دين ووفوداً تبشيرية مسيحية في العاصمة أصفهان، ومنح بعض الامتيازات للطوائف والبعثات المسيحية، ليس بدافع ديني بحت، بل ضمن إستراتيجية سياسية لإضعاف العثمانيين الذين كانوا يمثلون الخصم الأكبر للدولة الصفوية؛ وهو ما اعتبره العثمانيون والعرب آنذاك تهديداً

القبائل العربية المنتشرة على سواحل الخليج أدت دوراً بارزاً في مقاومة الوجود البرتغالي والتصدي للتوسع الصفوي

.. وبرزت عُمان بوصفها مركزاً رئيساً للمقاومة العربية ضد البرتغاليين فقادت مواجهات عسكرية انتهت بطردهم

سياسياً ودينياً مباشراً.

وكان العثمانيون قد شكلوا تهديداً خطيراً لأوروبا المسيحية حيث وصل العثمانيون لمرتين إلى أسوار فيينا، وكانوا قد سيطروا على أوروبا الشرقية برمتها، وكان البحر الأسود والبحر الأدرياتيكي والأجزاء الشمالية للبحر المتوسط حتى الحدود الإيطالية الفرنسية برمتها عثمانية بامتياز، ولولا الضغط الصفوي على العثمانيين من جهة الشرق لكان تاريخ أوروبا والعالم يكتب الآن بطريقة أخرى، وبمنظار آخر.

وكان الهدف الأوسع لهذا التقاطع الصفوي البرتغالي يتمثل في السيطرة على الخليج العربي والإحاطة بشبه الجزيرة العربية من جهاتها البحرية، والوصول إلى الديار المقدسة في الحجاز؛ بما يحد من النفوذ العثماني ويقوض الدور التجاري للعرب المسلمين في المنطقة.

وقد حاول البرتغاليون فرض سيطرتهم على الموانئ العربية وفرض الضرائب على السفن التجارية والحجاج المتجهين إلى الحجاز، بينما رأى الصفويون في ذلك فرصة لإضعاف خصومهم الإقليميين وتثبيت نفوذهم على السواحل الشرقية للخليج.

غير أن هذا المشروع واجه مقاومة عربية واسعة من القبائل والسكان المحليين الذين أدركوا خطورة التحالف الصفوي البرتغالي على الهوية العربية والإسلامية للخليج، فقد أدت القبائل العربية المنتشرة على سواحل الخليج العربي دوراً بارزاً في مقاومة الوجود البرتغالي والتصدي لمحاولات التوسع الصفوي، خاصة في مناطق الأحساء والقطيف وعُمان وسواحل الإمارات الحالية.

كما أسهمت القبائل العربية في دعم الجهود العثمانية الرامية إلى طرد البرتغاليين من الموانئ الخليجية وتأمين طرق التجارة والحج.

وبرزت عُمان بصورة خاصة بوصفها مركزاً رئيساً للمقاومة العربية ضد البرتغاليين، حيث قادت القبائل العُمانية لاحقاً مواجهات بحرية وعسكرية طويلة انتهت بطرد البرتغاليين من مسقط وموانئ عديدة في الخليج والمحيط الهندي خلال القرن السابع عشر.

كذلك أدت القبائل العربية من القواسم وغيرها في الأحساء وشرق الجزيرة العربية دوراً في الحد من التوسع الصفوي ومنع إيران من فرض سيطرة كاملة على الضفة العربية للخليج.

وقد ساهمت هذه المقاومة العربية في إفشال مشروع الهيمنة المشتركة الذي حاول الصفويون والبرتغاليون تكريسه في الخليج العربي، كما حافظت على الطابع العربي للمنطقة وعلى استقلال العديد من الكيانات المحلية في مواجهة القوى الخارجية، ويكشف هذا الجانب من التاريخ الخليجي أن العرب لم يكونوا مجرد أطراف متأثرة بالصراع الدولي والإقليمي، بل كانوا فاعلين أساسيين في حماية الخليج العربي والتصدي لمحاولات السيطرة الأجنبية، سواء جاءت من القوى الأوروبية أو من المشاريع الإقليمية المجاورة.

ومع ضعف الدولة الصفوية وظهور القاجاريين في أواخر القرن الثامن عشر، استمرت السياسة الإيرانية القائمة على تعزيز السيطرة على المناطق العربية الواقعة ضمن الحدود الإيرانية، وقد واجهت الدولة القاجارية تحديات داخلية وخارجية عديدة، إلا أنها أولت أهمية خاصة لإقليم عربستان بسبب موقعه الإستراتيجي وثرواته الطبيعية وارتباطه بالخليج العربي.

وعلى الرغم من أن القبائل العربية في الأحواز وعربستان احتفظت لفترات طويلة بقدر من الحكم الذاتي تحت قيادة شيوخ محليين، فإن الدولة القاجارية سعت تدريجياً إلى إحكام السيطرة السياسية والإدارية عليهم، خوفاً من تنامي النفوذ العربي أو التدخل العثماني والبريطاني في المنطقة.

وفي المقابل، واجه الصفويون ضغوطاً متزايدة من روسيا القيصرية التي بدأت تتوسع جنوباً باتجاه بحر قزوين والقوقاز، وقد أدى ضعف البنية العسكرية والإدارية الصفوية في مراحلها الأخيرة إلى فقدان أجزاء واسعة من النفوذ الإيراني في المناطق الشمالية، الأمر الذي كشف محدودية القدرة الصفوية على مواجهة القوى الكبرى مقارنة بتركيزها المستمر على الخليج والمحيط العربي.■

الولايات المتحدة (الأمم المتحدة سابقا) !!
US
N

السفاح والمفاوضات !
غزة
المفاوضات

مسلمـــون خلف الذاكرة (12)

إمارة «تشامبا» المسلمة لـ4 قرون.. قصة الصعود والسقوط!

شعبان عبدالرحمن
مدير تحرير «المجتمع» الكويتية، و«الشعب» المصرية – سابقاً

في القرنين التاسع عشر والعشرين، ازداد نشاط التنصير في فيتنام على أيدي المنصِّرين الفرنسيين والإسبان والدومينيكان القادمين من جزر الهند الشرقية، وإلى حد أقل من قبل المنصِّرين البروتستانت الأمريكيين خلال حرب فيتنام الأولى بين فرنسا وفيتنام (١٩٤٦ و١٩٥٤م).

في تلك الآونة، بدأت قصة فيتنام مع الإسلام عند سواحل إمارة تشامبا (في فيتنام الجنوبية) عن طريق التجار والدعاة القادمين من تايلاند والهند وإيران وشبه جزيرة العرب الذين استقروا في مدن الساحل ونشروا فيها الإسلام خاصة بين جنس «تشام» ومدينة «هو تشي منه»، وقتها كانت فيتنام تضم عدداً من الإمارات، من بينها إمارة «تشامبا» في وسط البلاد، إبان ازدهار التجارة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

فازداد إقبال الناس على الإسلام، وانعقدت مصاهرات بين التجار العرب المسلمين وسكان تشامبا، وزوَّج ملك تشامبا ابنته من أحد التجار العرب، واتسعت الإمارة وازداد الإقبال على الإسلام أكثر حتى تحولت إمارة تشامبا إلى إمارة إسلامية (دولة)، وبلغت أوج قوتها واتساعها في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي (٨٧٥هـ/ ١٤٥٣م).

واستمر الإسلام في فيتنام الدين الرئيس لشعب «تشام» -على امتداد ٤ قرون- الذي كان يبلغ تعداده ثلثي مسلمي فيتنام الجنوبية، وهناك جالية مسلمة أخرى تصف نفسها بالمختلطة من أصول إثنية أخرى (تشام وخمير وملايو وصينيين وعرب..)، ويطلق عليهم أيضاً مسلمو تشام في مناطق أخرى، وكانوا موجودين في ضواحي مدينة شودوك من فيتنام الجنوبية.

تلاعب بتعداد السكان

وفيما يتعلق بعدد المسلمين في فيتنام بصفة عامة، تتضارب الإحصاءات من جهة لأخرى كطبيعة الإحصاءات الخاصة بمعظم الأقليات المسلمة في العالم؛ إذ يكتنفها الغموض والتضارب بصورة شبه متعمدة؛ لمحاولة إظهار المسلمين بأعداد أقل من الحقيقة؛ وذلك بهدف إبرازهم في وضع

ضعيف لا يقوى على مقاومة حرمانهم من كثير من حقوقهم.

فبينما تكشف الإحصاءات التي يحملها تقرير وزارة الخارجية الأمريكية للحقوق والحريات الصادر عام ٢٠٠٩م أن عددهم يتراوح بين ٦٠٠ ألف إلى ٨٠٠ ألف، وأن عددهم في بعض الإحصاءات الأخرى يبلغ ٧٣٠ ألف مسلم؛ أي ما يعادل ٩٪ من إجمالي تعداد الشعب الفيتنامي، تشير إحصاءات أخرى إلى أن أعدادهم تُقدر بنحو ١٨٠ ألفاً؛ بنسبة ٠,٢٪ من إجمالي السكان (نحو ١٠١ مليون نسمة).

وقد عاش معظم المسلمين في مقاطعتي «نينه ثوان» و«بين ثوان» في دلتا نهر الميكونغ جنوب شرقي البلاد، وكانوا يحرصون على إظهار هويتهم الإسلامية والتشبث بها، ورغم أن الإسلام يعد من ديانات الأقلية في فيتنام، فإن له حضوراً تاريخياً وثقافياً متميزاً، خاصة بين أبناء أقلية «تشام» التي ينتمي معظم المسلمين إليها وتتركز في دلتا نهر الميكونغ ذات الأغلبية البوذية.

وقد تم اعتماد اللغة الفيتنامية كلغة رسمية في فيتنام التي نالت استقلالها عن فرنسا في ٢ سبتمبر ١٩٤٥م، بالإضافة إلى اللغات: الفرنسية، والصينية، والإنجليزية، ولغات محلية أخرى، ويعتمد اقتصادها على البترول والأرز والقهوة، كأهم أهم مصادر الدخل.

التشبث بالهوية الإسلامية

يحرص المسلمون اليوم، خاصة في مدينة «هو تشي منه» على الحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية من خلال إنشاء «مطاعم حلال»، والمبادرات المجتمعية الرامية لتعزيز الاندماج والتواصل بين المسلمين وأتباع باقي الأديان.

وتُعد مدينة «هو تشي منه» وجهة معظم السائحين المسلمين القادمين من ماليزيا وإندونيسيا والعرب القادمين من قطر والسعودية والمقيمين أيضاً وأغلبهم من تونس والجزائر والمغرب ومصر واليمن؛ ما يعزز من حضور الثقافة الإسلامية في الحياة العامة، ويعزز شعار التسامح الذي يميز مسلمي فيتنام.

ويوجد بمدينة «هو تشي منه» مسجدان جامعان؛ أحدهما يحمل اسم «مسجد المسلمين»، المعروف أيضاً باسم مسجد «سايجون المركزي»، أو مسجد «دونغ دو»، ويقع في شارع التسوق الشهير دونج كوي، وقد ذكر «ذو القرنين»، المسؤول عن هذا المسجد، أن تاريخ بنائه يعود إلى عام ١٩٣٥م، وكان مخصصاً في الأصل للجالية الهندية المسلمة التي تعيش في «هو تشي منه»، ويمتاز بهيكله الخارجي الملوّن بالأبيض والأخضر، وبه ٤ مآذن بمعمار أشبه بالمعمار الماليزي، ويوفر للمصلين مساحات هادئة للوضوء والصلاة أمام مطعمين حلال من ماليزيا وتركيا.

أما المسجد الثاني فهو «جميع المسلمين» المعروف أيضاً باسم «المسجد الهندي»، وهو أصغر نسبياً من المسجد الأول، لكنه ذو طابع معماري جميل، بحسب «الجزيرة نت».

عداء البوذيين

وقد تسبب اتساع الإمارة وتزايد إقبال سكانها على اعتناق الإسلام في إشعال نار العداوة لدى البوذيين في الشمال، وشعر بذلك المسلمون في الجنوب، وبدأت إمارة فيتنام البوذية الشمالية تجاهر بعدائها لإمارة تشامبا الإسلامية الجنوبية، وأخذت في الإغارة عليها، وانقسمت مراحل الصراع بين إمارة تشامبا المسلمة وإمارة فيتنام البوذية إلى عدة مراحل كما يلي:

المرحلة الأولى: تمتد من عام ٨٧٥هـ/ ١٤٥٣م إلى عام ٩٤٧هـ/ ١٥٢٥م، وفيها تمكنت فيتنام البوذية بمساعدة الصين وتايلاند من اقتحام مدينة فيجابا عاصمة إمارة تشامبا؛ حيث ارتكبت مذابح وحشية أبادت فيها حوالي ٦٠ ألف مسلم، وأسرت ٣٠ ألفاً آخرين واقتيادهم إلى عاصمتها «هانوي»، وكان بينهم ٥٠ شخصاً من أفراد الأسرة الحاكمة في تشامبا.

المرحلة الثانية: وتمتد من عام ٩٤٧هـ/ ١٥٢٥م حتى عام ١٠٦٠هـ/ ١٦٣٨م، واستطاعت فيتنام الشمالية في هذه المرحلة دخول منطقة كاوتهارا وهزيمة ملك تشامبا «باتهام».

المرحلة الثالثة: وتمتد من عام ١٠٦٠هـ/ ١٦٣٨م حتى عام ١٢٣٧هـ/ ١٨١٥م وفيها فقدت إمارة تشامبا منطقة كاوتهارا نهائياً، واضطرت لنقل مقر الحكم إلى مدينة «باندور أنغا»، وهاجرت جموع غفيرة من الفيتناميين الشماليين إلى تشامبا واستقرت فيها حيث استولت على أجود الأراضي وأفضل الأماكن دون مقابل.

المرحلة الرابعة: بدأت عام ١٢٣٨هـ/ ١٨١٦م وأحكمت فيتنام البوذية خلال تلك المرحلة قبضتها على تشامبا الإسلامية ووزعت أراضيها على الفيتناميين وطردت التشامبيين، وغادر «بوتشون» ملك تشامبا البلاد طالباً اللجوء السياسي في كمبوديا التي رحبت به، بينما توجه التشامبيون بأعداد كبيرة إلى بلاد متفرقة.

ارتفاع وتيرة المذابح

ومنذ استيلاء الشيوعيين على مقاليد الحكم في فيتنام الشمالية عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٣م ازداد الاضطهاد الواقع على المسلمين بصورة جنونية وارتفعت وتيرة الجرائم الوحشية بحقهم، وسط حالة مريرة من العداء، ومثال ذلك تلك المذبحة المروعة التي اقترفها الشيوعيون بمدينة «هوى بص» حيث أمضوا ٢٠ يوماً في دفن (وأد) الآلاف من المسلمين وهم أحياء؛ ما أثار الرعب بين المسلمين، ففر مئات الآلاف من ديارهم إلى بلدان أخرى؛ ما أدى إلى القضاء على غالبية المسلمين في تلك المناطق وتسبب في تناقص أعدادهم بدرجة كبيرة.

وعندما احتلت فرنسا فيتنام سمحت للفيتناميين (فيتنام الشمالية البوذية في ذلك الوقت) بالتنكيل بالمسلمين في إمارة تشامبا وارتكاب مذابح مروعة بحقهم، ففر المسلمون من السهول إلى الجبال حيث يعيشون على شكل تجمعات مغلقة.

وهكذا، بعد سقوط «إمارة تشامبا»، عانى المسلمون من الاضطهاد والتشريد والإبادة المتواصلة، وذاقوا الويلات على يد الاستعمار الفرنسي عام ١٨٥٨ - ١٨٨٣م، ثم في حرب فيتنام عام ١٩٤٥ – ١٩٤٦م، ثم واصلت الحكومات الشيوعية التي حكمت البلاد منذ عام ١٩٧٥م، مسلسل إبادة واقتلاع المسلمين من أرضهم حتى باتوا أقلية مضطهدة تعاني الفقر والجهل والتضييق في قبضة النظام الشيوعي الملحد.

إنها واحدة من أبشع حروب الإبادة بحق المسلمين، التي شنها تحالف الشيوعيين البوذيين، وأدت إلى فرار معظمهم إلى خارج البلاد، وتناقص أعدادهم من أكثر من مليون شخص إلى بضعة آلاف، وهو ما سنواصل الحديث عنه في التحليل القادم إن شاء الله. ■

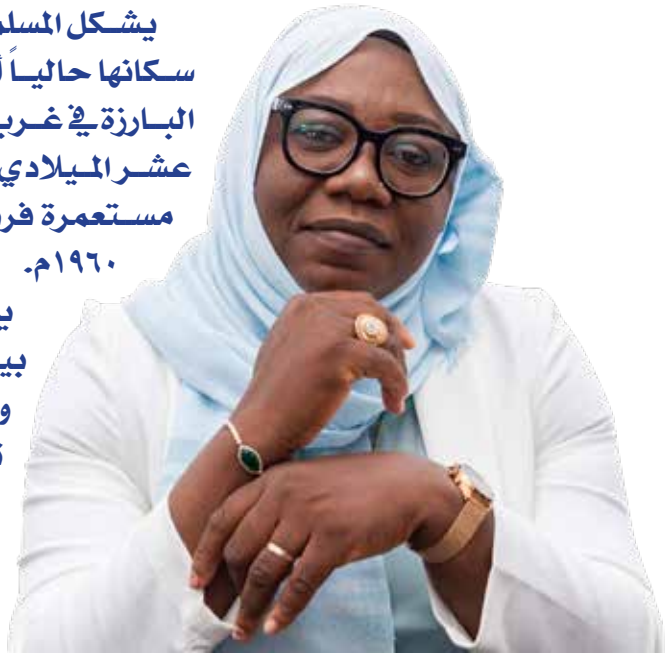

يشكل المسلمون النسبة الأكبر في جمهورية بنين، حيث يبلغ سكانها حالياً أكثر من ١٣ مليون نسمة، وتعتبر إحدى الممالك البارزة في غرب القارة الأفريقية، التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي، واستولت عليها فرنسا عام ١٨٧٢م، وجعلتها مستعمرة فرنسية، وحصلت على استقلالها، في أغسطس ١٩٦٠م.

يمارس المسلمون شعائرهم مع ازدياد الوعي السُّني بينهم، بالتزامن مع حملات تنصيرية واسعة ومنظمة، وهو ما يعد من أبرز التحديات التي تواجههم.. «المجتمع» تواصلت مع د. وداد نائبي، مؤسِّسة ومديرة معهد ابن بطوطة الأفريقي في بنين، لمعرفة أحوال المسلمين هناك عن قرب، ومدى التحديات التي تواجههم، وكيفية التغلب عليها، ودور التيار السُّني في تثقيف المسلمين.

مديرة معهد ابن بطوطة الأفريقي د. وداد نائبي

مسلمو بنين يواجهون نشاطاً تنصيرياً واسعاً

حوار – محمد العبدالله

● تتميز بنين بالتنوع الثقافي، أين موقع المسلمين من هذا التنوع؟ وما نسبتهم، وأشهر الديانات الأخرى بالبلاد؟

– نعم، يتجلّى هذا التنوع في تعدّد الفئات من متعلّمين وأميّين، ومتأثّرين بالثقافة الغربية أو متمسّكين بالتراث المحلي أو بالثقافة الإسلامية، ويغلب المتعلّمون بالفرنسية على المشهد التعليمي، دون إغفال أهمية حَمَلة الشهادات العربية والإسلامية ودورهم المؤثر.

أما من حيث التدين الإسلامي، فقد كان في بداياته أقرب إلى التصوف، ثم ظهرت لاحقاً، بفعل السفر والاحتكاك بالخارج، تيارات سُنية وسلفية أسهمت في إعادة تشكيل ملامح المجتمع الإسلامي في البلاد، والإقبال على صلاة الجمعة.

وفيما يخصّ النسب الدينية، فإن الأرقام تبقى محلّ جدل ولا يُصرّح بها بدقة، غير أنه على المستوى الوطني يمكن تقدير نسبة المسلمين بنحو ٤٥٪، متقدّمين على المسيحيين.

● اللغة الرسمية في بنين الفرنسية، كيف تنتشر اللغة العربية؟ وما الإسهامات في ذلك؟

– انتشرت اللغة العربية في بنين منذ القرن الخامس عشر، مع دخول الإسلام عن طريق التجّار وتنقّل السكان، ويُعزى انتشار العربية أساساً إلى محبة الإسلام، إذ كان كل ما كُتب بالحرف العربي يُنظر إليه بعين التقديس، حتى وإن كان مجرد قصاصة ورق.

كما أسهمت المدارس القرآنية في نشرها، أما اليوم، فلم تعد العربية لغة دين فحسب، بل أصبحت لغة أكاديمية ودبلوماسية وثقافية، ويتجلى ذلك في انتشار الأسماء العربية حتى بين غير المسلمين، إذ تجد مسيحيين يحملون أسماء عربية مثل «أسهم» أو «حبيب» أو «طارق».

● يتردد أن بنين بها ٥٠ لغة محلية، كيف يتواصل المسلمون مع غيرهم؟ وهل هناك معوقات أمام الثقافة الإسلامية بسبب تعدد هذه اللغات؟

– في الواقع، توجد في بنين نحو ٦٢ لغة محلية، إضافة إلى عدد كبير من القبائل، تتقارب بعض لغاتها أو تتباعد تباعداً كبيراً، ويتواصل المسلمون مع غيرهم حسب المنطقة.

ففي كوتونو، العاصمة الاقتصادية، تُستخدم لغة الفون أو الهوسا بحسب الأحياء، وفي بورتو- نوفو، العاصمة السياسية، تسود لغتا الجون واليوربا، مع حضور دائم للغة الفرنسية في كل أنحاء البلاد، كما تُعدّ العربية لغة تواصل بين المسلمين، خاصة حاملي الشهادات العربية والإسلامية، ولا يُشكّل هذا التعدد اللغوي عائقاً أمام الثقافة الإسلامية.

● يأتي المسلمون كنسبة ثانية من

التشكيلة السكانية للبلاد، هل هناك فرص لتواجدهم في مناصب سيادية أو وزارات حكومية؟

- المسلمون حاضرون بعمق في النسيج الاجتماعي، إذ كثيراً ما تجمعهم بغيرهم روابط أسرية واجتماعية متشابكة، تترك أثراً متبادلاً في القيم والتربية.

ومن ذلك قصة أسرة مسيحية سكنت في مجمّع سكني يضم جيراناً مسلمين، حيث سادت بينهم روح حسن الجوار والتكافل، إلى أن أقام الجيران المسلمون عقيقة للطفلة المولودة واختاروا لها اسماً محايداً.

ومع تعاقب السنين، اعتنق ابن هذه المولودة الإسلام، وأصبح اليوم شخصية بارزة في الساحة السياسية، أما من حيث الفرص في المناصب السيادية والوزارات، فهي متاحة من حيث المبدأ، وغالباً ما يُلاحظ ارتياح الفاعلين السياسيين لوفاء كثير من المسلمين عند توليهم المسؤوليات.

● ما أشهر الصناعات التي يعمل بها المسلمون؟ وهل لذلك انعكاسات على انتشار الإسلام؟

- تشكل التجارة القوة الاقتصادية للمسلمين، وهي عنصر مهم في حضورهم المجتمعي، فرغم ضعف مشاركتهم سابقاً في الجيش والشرطة، فإن هذا الوضع بدأ يشهد تحسناً في الآونة الأخيرة.

وساعدت الأعمال الحرة على تسهيل ممارسة الشعائر الدينية؛ ما عزّز الالتزام وساهم في انتشار الإسلام، إلى جانب المعاملة الحسنة والإحسان إلى الفقراء.

● في وقت تنتشر فيه المدارس التنصيرية في بعض المدن الكبرى، كيف يواجه المسلمون مثل هذه التحديات؟

- تتميّز المدارس التنصيرية بالتنظيم المحكم، والانضباط الصارم، وقوة المناهج والبرامج التعليمية، إضافة إلى وضوح الرؤية التربوية، والاستثمار المستمر في الموارد البشرية والبُنى التحتية.

وفي المقابل، يعاني التعليم الإسلامي من ضعف العمل المؤسسي، وغياب التخطيط طويل المدى، وانتشار ثقافة الاتكال على المجانية تحت شعار «في سبيل الله»، فضلاً عن تراجع ثقة بعض أولياء الأمور في جدية بعض المؤسسات التعليمية الإسلامية من حيث الاستمرارية، وجودة التعليم، والانضباط.

وتكمن المواجهة الحقيقية لهذا التحدي في الانتقال من المبادرات الفردية المحدودة إلى إنشاء مدارس نموذجية قوية، قائمة على أسس مؤسسية واضحة، وإدارة محترفة، ومناهج متطورة، وهيئات تدريس مؤهلة.

● توجد أضخم إذاعة في بنين أقامتها الكنيسة، في المقابل أين نشاط المسلمين المقابل خاصة الإعلامي ودور المساجد؟

- الإعلام الإسلامي موجود، وكذلك المساجد منتشرة بكثرة، غير أن الإشكال الحقيقي لا يكمن في الوجود، بل في الدور والفاعلية، فبعض المبادرات قوية وواعدة عند توفر الدعم، إلا أن ضعف الإدارة وسوء التسيير أضاع كثيراً من الجهود.

كما ترسّخ لدى شريحة من الناس تصورٌ ضيّق لدور المسجد، فحُصر في كونه مكاناً للصلاة فقط، بدل أن يكون فضاءً جامعاً للتربية، والتوجيه، وبناء القيم، وتعزيز المحبة والوحدة.

أيضاً ابتُليت بعض الطرق الصوفية، كالتيجانية والقادرية والعلاوية، بتصرفات بعض المريدين التي أساءت إلى جوهرها، ابتُليت كذلك جماعات أخرى -إن صحّ التقسيم- بالهوى، وحب الدنيا، ومظاهر الإفساد؛ ما أضعف أثرها الدعوي والتربوي.

● حدثينا عن ارتباط مسلمي بنين بالعالم الإسلامي، خاصة منظمة التعاون الإسلامي والدور الإيجابي لها في نشر وتوطيد الإسلام في البلاد؟

- هذا الارتباط يشمل جوانب إيجابية وأخرى شابها الخلل، حيث غلب الطابع الفردي والآني على بعض المشاريع، دون تخطيط إستراتيجي طويل المدى؛ ما أدى إلى ضياع فرص وهدر موارد، ومع ذلك، لا يمكن إنكار الدور الإيجابي الكبير في بناء المساجد، ودور التحفيظ، ودعم الدعاة، وكفالة الأيتام، وحفر الآبار، وإنشاء المرافق التعليمية.

● أخيراً، نريد أن نعرف عن قرب دور الجمعيات الخيرية، وما إسهامات الدول العربية، وخاصة الخليج في مشاريع التنمية والثقافية بالبلاد؟

- تؤدي الجمعيات الإسلامية دوراً محورياً في تنفيذ المشاريع الخيرية لصالح الفقراء والمحتاجين، في مجالات التعليم، والصحة، والمياه، وبناء المساجد، وفي رمضان والأضحى، وقد كان للدول العربية، خاصة الخليجية، إسهام كبير في دعم هذه الجهود؛ ما عزّز حضور اللغة العربية والإسلام في البلاد.

ولا تزال هذه الجمعيات تواصل عملها رغم القيود الدولية، التي تُعدّ ضرورية لضمان الشفافية ومنع الاستغلال. ■

الاندماج.. بين نظرة الجاليات المسلمة والنخب الغربية

د. شادي الأيوبي
كاتب لبناني مقيم في اليونان

أخذ اندماج الجاليات العربية والمسلمة في المجتمعات الأوروبية حيزاً كبيراً من الجدل والنقاش بين المهتمين والمعنيين، وقد بذلت الجاليات والمنظمات الإسلامية جهداً كبيراً في التأصيل لهذه الفكرة منذ حوالي ٤٠ عاماً على أقل تقدير، حتى وصل الأمر إلى نوع من جلد الذات لعدم تحقيق الفكرة بالشكل المطلوب.

كانت خلاصة الأفكار أن الجاليات المسلمة يمكن أن تحقق اندماجاً يشبه ذوبان السكر في الشاي؛ أي أن تندمج في المجتمعات الأوروبية مع بقاء خصوصياتها وثقافتها.

الإشكالية الكبرى في الموضوع هي أن الحكومات والنخب الأوروبية التي تنظّر لموضوع الاندماج لم تحدد حتى اليوم رؤيتها الشاملة للفكرة وحدودها، فبعض تلك النخب تتحدث عن ذوبان ثقافي تام للمهاجرين في المجتمعات الأوروبية وتخلّيهم التام عن ثقافتهم وأخلاقهم وقيمهم، هذه الرؤية ليست الوحيدة في القارة العجوز، لكنها أصبحت هي السائدة، خاصة بعد صعود التيار اليميني الشعبوي، ووصوله إلى حكم دول أوروبية عديدة.

المعاملة العنصرية

ثمة إشكالية أخرى في الموضوع؛ وهي أن آلاف المهاجرين –خاصة من الجيل الثاني والثالث– انخرطوا في العمل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في المجتمعات الغربية، متغلبين على مصاعب كثيرة، أقلها المعاملة العنصرية ومبدأ «لن تتحكموا في بلادنا أيها الغرباء».

هؤلاء حققوا معنى الاندماج الإيجابي الذي يروَّج له من جهة المهاجرين، على الأقل، لكن هذا كله يتجاهله الإعلام الغربي تماماً، ولا تزال أصوات النخب الأوروبية تنادي بأنّ المسلمين غير قابلين بطبيعتهم للاندماج.

وتطالب نخبٌ أوروبية اليوم بانسلاخ وذوبان تام للمهاجرين في مجتمعاتهم؛ ما يعني التخلي عن الدين والمبادئ والثقافة والتحول إلى الثقافة الغربية دون نقاش.

إضافةً لما ذُكر، فإن تحريض الإعلام الغربي على الجاليات ونشطائها ومؤسساتها تحوّلَ إلى ظاهرة شبه يومية تركز على كل أمر سلبي، فيما لا تحظى الاعتداءات على أبناء الجاليات ومؤسساتها بتغطية تذكر، هذا الكيل بمكيالين يعمّق الهوة بين تلك الجاليات والمجتمعات التي تعيش فيها، وتجعل مسألة الاندماج مسألة نظرية بعيدة عن الواقع.

ولا يخفى على متابع نتيجة هذه السياسات والتطورات، ففي بلاد مثل فرنسا أو السويد،

تنسحب أسرٌ مهاجرة كثيرة من تلك البلاد إلى بلاد أوروبية أو إسلامية، بعدما ضاقت بها السبل وخسرت أطفالها أو كادت تخسرهم.

في المقابل، من الإنصاف أن نذكر أن مهاجرين كثيرين يتعاملون مع البلاد الأوروبية بمنطق البقرة الحلوب، وأن كثيرين منهم يريدون الحصول على مساعدات صناديق الضمان الاجتماعي دون القيام بأي واجب مقابل ذلك، بل إن منهم من يعيش عالة على تلك المجتمعات، وقد حملت موجاتُ اللجوء الأخيرة كثيراً من هذه النماذج السلبية.

تناقضات وغرائب!

هناك عدة أمور تحتاج إلى شرح وتوضيح في مسألة الاندماج، كما هو مطروح في أيامنا هذه، منها:

١- أن معظم الدول التي تتحدث عن إدماج الأجانب في ثقافتها، تقيم مدارس ومراكز ثقافية لها في الخارج لتحفظ مواطنيها من الذوبان في الثقافات الأخرى وتعلمهم لغة بلدهم وثقافتها، إضافة إلى نشر لغتها وثقافتها في الخارج.

ويكفي إجراء مقارنة متواضعة بين المدارس الغربية في بلاد المسلمين، وجهود الجاليات المسلمة في إقامة مدارس لأبنائها في بلاد الغرب، فالمدارس الغربية أشبه بالقلاع التي لا يمكن الحديث عنها ولا مناقشة برامجها، فيما تُعامَل مدارس الجاليات المسلمة في أوروبا بالتشكيك والتهويل وتحاصَر ويضيّق عليها بشكلٍ ممنهج، كما يجري في فرنسا والسويد مثلاً، ونحن هنا نتحدث عن مدارس تتوجه إلى أبناء الجاليات العربية والمسلمة، لا إلى أبناء البلد ولا إلى غير المسلمين.

٢- الكلام المتداول أن المسلمين لا يندمجون في المجتمعات الغربية ينافي الواقع، فقد خاض آلاف المسلمين تجارب العمل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهؤلاء يتم تجاهلهم في الإعلام الغربي، بل تُوَجَّهُ إليهم سهام التشكيك بزعم أنهم يخترقون المجتمع بهدف تبديله وتغييره والسيطرة عليه.

٣- الملاحظ أن الحديث الغربي عن الاندماج يوجَّه إلى الجاليات المسلمة من أصول عربية أو أفريقية، أو إلى جاليات من شرق أوروبا، حصراً، فيما لا يتحدث أحدٌ عن اندماج جاليات أخرى مثل الأمريكية في حال وُجدت- أو الصينية أو الهندية، والأسباب غير مفهومة.

٤- من أعجب الأمور في هذا السياق أن الذين يدعون إلى الاندماج من أفراد ومؤسسات إسلامية، هم الذين يتعرضون للطرد والملاحقات من السلطات الأوروبية في كل مناسبة! فمع كل إشكال يقوم به أي مسلم غير متزن، تتعرض الجاليات والمؤسسات المسالِمة لإرهاب السلطات وقمعها، وتُغلق مؤسسات قضت سنوات في الدعاية للاندماج والترويج له.

٥- هناك استعداد نخبوي ومجتمعي لتقبل فئات معينة من المسلمين، لا سيما أصحاب الأموال والسياح، فلا مشكلة كبيرة في تقبل هؤلاء بمظاهرهم الإسلامية مثل الحجاب أو حتى النقاب، طالما أن هؤلاء ينفقون أموالهم في هذه البلاد.

٦- يتم التركيز على الحجاب كمظهر فرض للقيم الإسلامية على المجتمعات الغربية، ويروّج على أنه «شعار ديني»؛ أي أنه مظهر من مظاهر فرض الإسلام في الغرب، ورفض الاندماج، فيما الحجاب جزء من لباس المرأة المسلمة، وليس له علاقة بدين الآخر.

بكلام آخر، المرأة المسلمة ترتدي الحجاب أمام الرجال الأجانب من غير محارمها بغض النظر عن ديانتهم، ولا فرق في ذلك بين رجل مسلم ورجل غير مسلم، وكذلك فالمرأة المسلمة ترتدي حجابها في بلاد المسلمين وغيرها، لا في أوروبا وحدها، فجوهر الحجاب ليس فرض الإسلام على غير المسلمين، كما يزعم محاربوه، بل هو ستر للمسلمة أمام الرجال الأجانب من جميع الأديان، فيما لا مشكلة في عدم ارتدائه أمام امرأة أخرى، ولو كانت غير مسلمة.

٧- لماذا لا يُكتفى بمطالبة الجاليات الإسلامية والعربية باحترام القوانين وعدم تجاوزها، شأنها شأن المواطنين الآخرين، بدلاً من مطالبتها بتقديم براهين على انتمائها إلى مجتمعها؟ ولماذا تطالب تلك الجاليات -إضافة إلى احترام القوانين وعدم مخالفتها- بتقديم أدلة مواطَنة أخرى، مثل الاندماج والولاء، وهي غير مطلوبة من أي جهة أخرى؟

٨- لا تزال فئات كثيرة من الأوروبيين أنفسهم تشكّك في البناء الأوروبي الموحّد وتسعى إلى تفكيكه، كما ترى نفسها غير معنية باحترام السلطات المحلية، بل ترى أن لها الحق في تحديها وهدمها، مثل الفوضويين ومعادي السلطات، والغريب أن هؤلاء مقبولون سياسة واجتماعاً في أوروبا، ويعامَلون كتيّار شعبي أو جهة سياسية لها رأيها ووزنها، أو كخصم سياسي في نهاية المطاف، ولا يوجَّه إليها أيُّ برنامج اندماج واستقطاب.

٩- لماذا ليست هناك مطالبات بالاندماج إلا في البلاد الأوروبية، وتجاه فئات معينة بالذات؟ بينما يمكن أن تسافر إلى البلاد العربية والآسيوية والأفريقية وتستقر فيها، فلا تجد من يتحدث عن هذا المصطلح الذي أصبح قريباً من الشوفينية؟

خلاصة القول: إنه يجب مراجعة ملف الاندماج والشعارات التي تُطرح في شأنه بشكل جذري عميق، وفقاً لمبادئ المساواة بين الناس، وعدم تحميل الجاليات ما لا تطيق، وإنهاء المعايير المزدوجة في التعامل مع الجاليات المختلفة، ومهم في هذا السياق أن توقف الجاليات جلد الذات، وأن تطالب باحترام ثقافتها وخصوصياتها، كما هي مطالبة باحترام ثقافة البلد وخصوصياته.

نخب أوروبية تطالب بذوبان تام للمهاجرين في مجتمعاتهم والتخلي عن الدين والمبادئ والتحول إلى الثقافة الغربية

من العجيب أن الداعين إلى الاندماج من مؤسسات إسلامية هم الذين يلاحَقون من السلطات الأوروبية في كل مناسبة!

ضرورة مراجعة ملف الاندماج وفقاً لمبادئ المساواة وإنهاء المعايير المزدوجة في التعامل مع الجاليات المختلفة

صفحات مضيئة من حياة رائد الإعجاز العلمي (الأخيرة)

مواقف لا تُنسى من حياة د. زغلول النجار

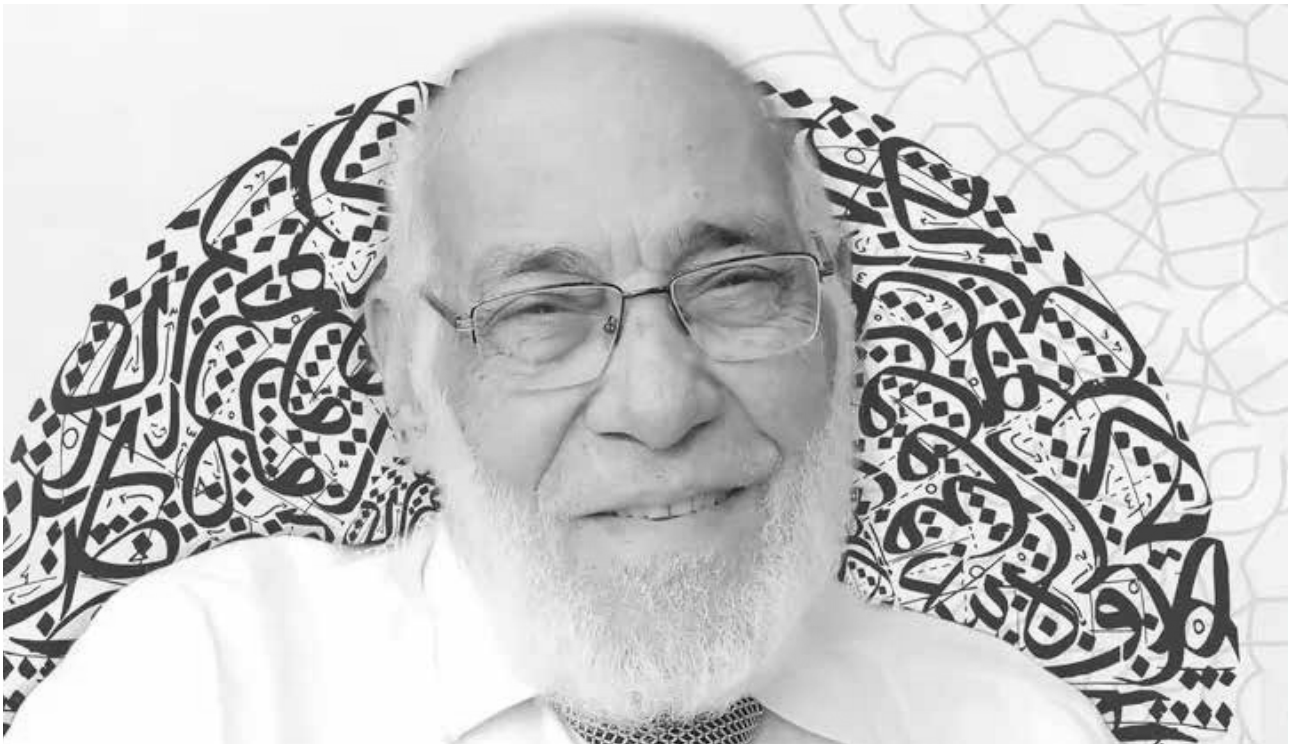

أ.د. هاشم محمد نور المدني

أستاذ بقسم الهندسة المدنية – جامعة البحرين

في أثناء عمل د. زغلول النجار في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وقعت أحداث حرب الخليج عام ١٩٩٠م، وفي أثناء التجهيز للحرب أقبلت على المنطقة الشرقية أعداد ضخمة من العساكر الأمريكية والغربية، ونالت الظهران وما حولها حظاً وافراً منهم، وتضايق الناس منهم ومن بعض عاداتهم، لا سيما أن المجتمع السعودي المحافظ لم يعهد خروج الضابطات والمجندات من معسكراتهم إلى الشوارع بلباس غير محتشم؛ ما دفع بعدد من الشباب المتحمس إلى استنكار ذلك، بل والتضييق عليهم.

وجاء عدد منهم إلى بيت د. النجار طلباً للمشورة، وأنهم نووا تضييق الطرقات عليهم، حتى يلزموا معسكراتهم، فقال لهم: ألا نقوم بما هو أفضل من ذلك؟ هم هنا في غير مجتمعهم، ولديهم الاستعداد للسماع عن دين هذا البلد وعاداته، فلندعُهم إلى هذا الدين العظيم، ولنعلمهم عاداتنا، فاستحسنوا الفكرة وتحمسوا لها، وكان من بينهم شاب عمه ذو رتبة عالية في الجيش، وله نفوذ كبير، فقال لهم: بإمكاني الترتيب لمثل هذه المحاضرات.

بدأ د. النجار سلسلة من المحاضرات والندوات والنقاشات، مع الضباط والجنود من مختلف الأطياف والشرائع، إضافة إلى الملحدين منهم، وساعده في ذلك أنه كان يتحدث الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ويؤلف الكتب بتلك اللغات أيضاً.

يقول د. النجار: بعد أن قدمت عدة محاضرات في قاعدة الظهران الجوية، إذا بإحدى العسكريات، وهي ممرضة -وكنت قد لاحظت حضورها الواضح في أكثر من محاضرة، ونقاشها الجاد، وكأنها ترد عليَّ-

تتحدث عن حقوق المرأة وتعظيم شأنها، وكأنها تشير إلى اضطهاد الإسلام للمرأة، فأجبت برد مختصر، وقلت لها: إن شئت، يمكننا تخصيص محاضرة عن المرأة في الإسلام، فاستبشرت، وكأنها قالت في نفسها: هنا يمكننا قلب الطاولة عليك!

ويضيف: وفي أسبوع، رتب الإخوة محاضرة لي في قاعدة الظهران الجوية، عن حقوق المرأة وأثرها في الإسلام، وتجهزّت للمحاضرة تجهيزاً جيداً، وأعددت الرد على الأسئلة التي قد تجول في خاطر تلك المرأة، لإدراكي أنها لن تفوت المحاضرة دون نقاش.

وقال د. النجار: وفي ليلة المحاضرة، وما أن جلست على المنصة، لمحتها جالسة في الصف الأول أمامي، ولم يتوقع الحضور ما سمعوه مني عن قيمة المرأة العالية في الإسلام، وما منحها من حقوق جمة، وجاء وقت النقاش، وأبدى كثير من الحاضرين ارتياحهم من وضع المرأة في الإسلام، ولم تنطق تلك الممرضة ببنت شفة، وجلست معقودة اللسان، فتعمدت أن أمر من أمامها وأنا نازل من المنصة، فقامت من كرسيها، وقالت لي: لم أكن أعلم أن المرأة مكرمة في الإسلام بهذا القدر!

يقول: ومرت الأيام، وتحدثت معي أكثر من مرة، تناقش وتستفسر، ثم إنها بعد مدة أخبرتني أنها أسلمت، فباركت لها ذلك، ودعوت الله لها بالثبات في الدين.

مع الضابطة الأمريكية

ومما أخبرني به أحد الإخوة ممن كانوا معنا في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، أن د. النجار فوجئ ذات مرة بضابطة أمريكية عند مكتبه تريد مقابلته، يقول: فسمحت لها بالدخول، فبادرتني بقولها: إنها كانت تحرص على حضور محاضراتي، وكان لتلك المحاضرات الفضل في معرفتي بالإسلام، واقتنعتُ بالإسلام كدين فأسلمتُ، ولكنني الآن واقعة في حيرة بعد أن أصبحتُ مسلمة، فأنا متزوجة من رجل أعمال أمريكي يقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، ورزقنا الله أطفالاً، وباعتناقي الإسلام غدوت محرمة عليه، مع أننا نحب بعضنا كثيراً، وكوني غيّرت معتقدي سيخلق أزمة في حضانة

أطفالي، ولا حيلة لي في كل ذلك، فجئت أستشيرك في أمري، فلعلك تهتدي إلى حل.

يقول: فطلبت منها أن تقوم بتعريف زوجها بالإسلام، وقمت بتوفير شرائط فيديو مسجلة لمحاضراتي التي كنت أُلقيها على الجنود الأمريكيين، وقد قامت بتنفيذ ما أشرت به عليها، لكنها عادت بعد عدة أيام منهارة ويائسة، لا تعرف كيف تحل تلك المعضلة، فقد فوجئت برد فعل سلبي عنيف من زوجها، وأعلمها أنه لن يطيق الحياة معها بسبب إسلامها، ومع ذلك أخبرها أنه يحبها، ويعلم جيداً أنها تحبه، وأن الإسلام قد فرق بينهما، وطلب منها عدم التواصل معه مرة أخرى.

وأردف د. النجار: فطلبت منها رقم هاتف زوجها لأتصل به بنفسي لعلي أقنعه، يقول: وقد فعلت، واتصلت به، وما أن عرفته بنفسي، وأخبرته أني أنا المحاضر في تلك الأشرطة، جاء رده رداً عنيفاً، وقال لي: إذن أنت السبب في تفكك أسرتي، وطلب مني ألا أتواصل معه مرة أخرى، وأنهى المكالمة سريعاً بنفس الشدة التي بدأها، يقول: فأخبرتها بالنتيجة، فازدادت هماً على هَمّ.

يقول: فطلبت منها ألا تسافر إلى أمريكا في الوقت الحالي، وأخبرتها أني سأتصل به مرة أخرى، لكن بعد مدة كي تهدأ نفسه قليلاً، وبالفعل، اتصلت به مرة أخرى بعد نحو ٣ أشهر فإذا به قد هدأ كثيراً.

وفي ذلك يقول د. النجار: أخبرني أنه يحب زوجته كثيراً، ولا يريد أن يفقدها، فبادرته بالسؤال عما إذا تمكن من مشاهدة وسماع شيء من تلك الأشرطة التي بعثتها بها إليه، فقال: نعم، لكنني لا أطيق تكاليف الإسلام الكثيرة، وأنا رجل أعمال كثير الانشغال، ولا يمكنني ترك أعمالي ٥ مرات في اليوم للصلاة، فضلاً عن الصيام الذي لا أطيقه كالمسلمين.

يقول د. زغلول: فشعرت أنه اقترب من الإسلام كثيراً، فأخبرته أن كل ما يحتاج إليه ليكون مسلماً هو قول: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، دون أي تكاليف أخرى، فتعجب الرجل! وقال: هل إذا قلت ذلك أُصبح مسلماً، دون أن أصلي أو أصوم؟ قلت: نعم، تكون مسلماً دون أي مشكلة، ومن ثم تكون زوجتك معك، وتعود حياتك إلى طبيعتها.

فرح الزوج بذلك، وقال: سأشهد الشهادتين، ولكني لن أصلي ولن أصوم، ولن أقوم بأي عبادات أو تكاليف، نطق الرجل الشهادتين، وفرحت بذلك فرحاً شديداً، وقلت له: عندنا صلاة واحدة من ركعتين مرة واحدة في الأسبوع، كل جمعة ظهراً، أطلب

منك أن تصليها في أقرب مركز إسلامي إلى عملك أو منزلك، أن تصلي معهم فقط، وبعد أن أدار الرجل ذلك في ذهنه، قال: أنا موافق، سأصلي الجمعة فقط، يقول: فطلبت منه أن يرسل لي عنوان عمله أو سكنه لأدله على المركز الإسلامي الأقرب إليه، فبعث لي الرجل بالعنوان، فأرسلت إليه عنوان المركز الإسلامي الذي سيصلي فيه.

يقول: تواصلت مع القائمين على إدارة المركز الإسلامي، وأخبرتهم بالقصة كاملة، وأعلمتهم أن الرجل سوف يصلي معكم صلاة الجمعة القادمة، فأعد القائمون على المركز احتفالاً على هيئه عقيقة، وبعد صلاة الجمعة مباشرة رحبوا به كمسلم جديد في مكبرات الصوت، وفرح الرجل بهذا الترحيب الشخصي، وتعرف على عدد كبير من المسلمين، وكان بعضهم يعمل في مجال عمل قريب من مجال عمله، ولم يكن يعرفهم من قبل، فتبادل معهم الحديث، وأرقام الهواتف والعناوين، وأعجب الرجل بالعقيقة وبالأجواء الرائعة، ثم لم أتواصل معه بعد ذلك.

يقول د. النجار: روت لي الضابطة بعد ذلك أنها وجدت زوجها عندما عادت إلى أمريكا مسلماً ملتزماً، عالماً بأمور دينه، محباً للرسول صلى الله عليه وسلّم، مقتدياً بسُنته، حريصاً على الصلوات الخمس في جماعة بالجامع، ولم يحل عليهم شهر رمضان إلا والرجل كان يصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع.

نجحت مثل تلك المبادرات في تغيير سلوك تعامل الجنود والمجندات مع المحيط المسلم حولهم، بل وأثمرت إسلام عدد كبير منهم، ويقدر د. النجار عدد الذين أسلموا حينذاك بالآلاف من النصارى واليهود والملحدين.

قصة المصرية التي تنصّرت

لم أخض في هذه العجالة في مستخلصات د. النجار العلمية، وما له من باع طويل في الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، فذلك يحتاج إلى تفصيل طويل ليس هذا مكانه، ولعل الأخ الذي أعد رسالة الدكتوراة في مصر عن سيرة د. النجار قد كفانا ذلك.

وله رحمه الله في مصر، بلده وعشق طفولته، مآثر جمة، وقد أوكل إليه مدير تحرير جريدة «الأهرام» المصرية صفحة كاملة ملونة، ليكتب فيها عن الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة، وظل يكتب في تلك الصفحة ١٢ عاماً، وكانت تلك الصفحة فتحاً وهداية لكثير من الشباب، كما كانت سبباً في هداية عدد كبير من غير المسلمين، لا سيما النصارى، إلى الإسلام.

وحدثت للدكتور النجار حكاية غريبة في إحدى زياراته إلى مصر، يقول: بينما أنا وسط برنامج مزدحم في مصر، اتصل بي شخص لا أعرفه، وكان يصر على مقابلتي شخصياً لأمر مهم، فقلت له برفق: إن وقتي ضيق في مصر، وبرنامجي مزدحم، ولا يسمح وقتي أن أضيف إليه مشاغل أخرى.

يقول: فلم يمض يوم حتى اتصل بي، ورجاني أن أسمع منه، ثم فاجأني بقوله: إن ابنتي تنصرت، ولم أترك سبيلاً إلا طرقته لأرجعها إلى الإسلام فلم أفلح، فلا الترهيب ثناها، ولا الترغيب نفعها، ولم يصلح معها شيء، وأنت معيني الأخير بعد الله، فقد أرشدني أهل الخير إليك.

يقول د. النجار: فلما رأيته يائساً من كل شيء، وعلمت بعظم المشكلة، قلت له: أحضرها غداً إلى منزلي، فجاء في اليوم التالي مع ابنته الشابة، فقلت له: انتظر في الصالة بينما أتحاور معها، يقول: اتضح لي أنه لم يحاول أحد منهم مناقشتها مناقشة علمية، وفهمت من كلامي معها أن معرفتها بدينها ضحلة، فبدأت حديثي معها بمقارنة الإسلام وعظمته بالنصرانية المحرفة، وما هي إلا ساعة، حتى رجعت إلى دين الإسلام باقتناع تام.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. ■

ما وراء كأس العالم!

أحمد عبدالواحد
صحفي وباحث

ينظر البعض إلى كأس العالم لكرة القدم بوصفه حدثاً رياضياً ومنافسة كروية لا أكثر، وهي نظرة قاصرة، لا تدرك قيمة وأهمية وتأثير المونديال العالمي الذي يقام كل ٤ سنوات، تحت أنظار سكان كوكب الأرض.

«مونديال ٢٠٢٦» الذي يقام في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، بمشاركة ٤٨ دولة، للمرة الأولى في تاريخ اللعبة، الأكثر شعبية حول العالم، هو ساحة لاستعراض الثقافات، وهيمنة الهويات.

تحت ستار لعبة كرة القدم، وشغف الجماهير بمتابعة نجوم اللعبة أمثال ميسي، رونالدو، صلاح، مبابي، فينسيوس، لامين جمال.. وغيرهم، تحاول الدول المستضيفة تمرير رسائل سياسية وقيمية وحضارية، وجني مكاسب ضخمة على جميع المستويات.

تستخدم البطولات الكبرى عادة فيما يعرف سياسياً وإعلامياً بـ«غسيل السمعة»، وهي إستراتيجية دأبت على تنفيذها الدول والمنظمات؛ للتغطية على انتهاكاتها الحقوقية، أو سجلها المزري في ملف حقوق الإنسان، أو جرائمها في حقوق الشعوب الأخرى، وهو الأمر الذي يتكرر في «مونديال ٢٠٢٦»، الذي يتزامن مع دعم لا محدود تقدمه واشنطن للعدو الصهيوني في عدوانه على غزة ولبنان وإيران، بعد حرب إبادة شهدت استشهاد أكثر من ٧٠ ألف فلسطيني تحت نظر الولايات المتحدة الداعم الأكبر للاحتلال «الإسرائيلي».

ربما كان نجم كرة القدم المصرية السابق محمد أبو تريكة هو أكثر من لمس هذا الوتر الحساس، حينما شن على الهواء مباشرة هجوماً لاذعاً على الولايات المتحدة، مؤكداً أن من يريد غسل سمعته السياسية يلجأ إلى تنظيم كأس العالم، منتقداً تورط إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترمب في حرب الإبادة الجماعية الدائرة ضد الشعب الفلسطيني، وشن حروب ظالمة على دول أخرى، بدعوى نشر الديمقراطية.

تقف «لوبيات» وشركات عملاقة وراء صناعة غسيل وتبييض السمعة، مدعومة بموازنات مالية ضخمة، وأنشطة خيرية وإنسانية ورياضية، وأدوات معقدة للتأثير على صناع القرار، وعبر استمالة نجوم ومشاهير، لإبراز التفوق الحضاري لدولة ما، وصناعة صورة إيجابية تتنافى مع الحقيقة.

تمرير الشذوذ

لا يمكن غض الطرف عما تعرضت له العاصمة القطرية الدوحة في «مونديال ٢٠٢٢»، من ضغوط غربية للسماح بفعاليات للشواذ جنسياً، ورفع علم المثليين، وهو ما يتكرر في «مونديال ٢٠٢٦»، حيث يجري توظيف تلك المناسبة الكروية لتمرير ثقافة الشذوذ بين اللاعبين والجماهير والمشاهدين حول العالم.

يقول المنظمون المحليون المدعومون من الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا): إن فكرة إقامة «يوم دعم المثلية» تمثل لحظة فريدة من نوعها لعرض مجتمعات الميم (الشذوذ) في واشنطن والاحتفاء بها، وهو ما ترفضه منتخبات الدول العربية والإسلامية المشاركة في البطولة وعددها ١٣ منتخباً، هي السعودية، وقطر، والأردن، ومصر، وتونس، والجزائر، والمغرب، والسنغال، وإيران، وأوزبكستان، وكوت ديفوار، والعراق ، وتركيا .

لم يقف الأمر عند تخصيص يوم لدعم الشذوذ الجنسي، بل جرى -عن عمد- اختيار مباراة مصر وإيران في ٢٦ يونيو، في مدينة سياتل التي تحتضن مجتمعاً مثلياً كبيراً، باعتبارها «مباراة فخر» لدعم حقوق الشواذ، وهو ما رفضه البلدان، حيث أبدى الاتحاد المصري لكرة القدم، في خطاب رسمي موجه لـ«فيفا»، رفضه القاطع لإقامة بعض الأنشطة المرتبطة بدعم المثلية الجنسية خلال تلك المباراة، وأنه يرفض تماماً مثل هذه الأنشطة، التي تتعارض بشكل مباشر مع القيم الثقافية والدينية والاجتماعية في المنطقة، ولا سيّما في المجتمعات العربية والإسلامية.

واستند الخطاب المصري إلى مبادئ «فيفا» المقررة في لائحة النظام الأساسي، وتحديداً المادة الرابعة، التي تؤكد «الحياد في المسائل السياسية والاجتماعية، والحفاظ على الحياد في القضايا السياسية والاجتماعية، خلال مسابقات «فيفا»، وضمان عدم استخدام كرة القدم كمنصة للترويج لقضايا تكون ذات حساسية أو طابع خلافي».

تغول قيمي

تتعمد شبكات وقنوات التلفزة نقل مباريات المونديال مصحوبة بلقطات حميمية من مقاعد الجماهير، وصور عارية لمشجعات لا يرتدين سوى الملابس الداخلية، في محاولة لترويج وفرض نمط الثقافة الأمريكية والغربية في الملابس والعادات والتقاليد، وإنعاش تجارة الجنس والبغاء على هامش البطولة، وسط متابعة ٦ مليارات مشاهد رقمي حول العالم؛ أي ما يعادل ٧٥% من سكان الأرض.

على صعيد آخر، يزداد التغول التكنولوجي في البطولة من خلال استخدام الكرات الذكية، وكاميرات الحكام، وتقنية التسلل شبه الآلية، إضافة إلى تقنيات جديدة لتبريد ملابس وأحذية اللاعبين، وهي تكنولوجيا مملوكة لشركات أمريكية تطمح في استغلال المونديال لترويج منتجاتها وتحقيق مبيعات مليارية.

ما وراء كأس العالم ليس فقط البحث عن التنافس الكروي والرياضي، بل يعد المونديال مضماراً دولياً لاستعراض النفوذ السياسي والاقتصادي، وسوقاً ضخمة لبيع التقنية والتكنولوجيا، وساحة عالمية لفرض الهويات والثقافات، ومعركة خفية لتمرير الشذوذ والعري والتطبيع.

يترقب الجميع إذن ما سيحدث في «مونديال ٢٠٢٦»، لكن التساؤلات تظل تطرح نفسها: هل تظهر فلسطين في المدرجات كما ظهرت في مونديال قطر؟ وكيف سينتصر المسلمون في معركة الشذوذ؟ وإلى متى يظل التميز العنصري ضد الأفارقة؟ وهل يكسر العرب احتكار النجاح الغربي في المستطيل الأخضر؟ وما فرص مليارى مسلم في استثمار الحدث الرياضي من أجل نصرة قضايا الأمة الإسلامية؟■

إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية (17)

عمق الاستفادة من صيام رمضان

د. رمضان أبو علي
أستاذ جامعي، دكتوراة في الدعوة الإسلامية

المسلمون حفظوا هيبة رمضان فلم يسمحوا بانتهاك حرمة الصيام

.. وحرصوا على الاستفادة من صيام رمضان رغبة في تزكية النفوس وتطهيرها

مَرَّ الحسن البصري بقوم يضحكون في شهر رمضان، فقال: يا قوم، إنّ الله جعل رمضان مضماراً لخلقه يتسابقون فيه إلى بطاعته إلى مرضاته؛ فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا؛ فالعجب من الضاحك اللاهي في اليوم الذي فاز فيه المُحسِنون، وخاب فيه المُبْطلون المتخلفون[1].

مظاهر حرص الدعاة في الحضارة الإسلامية على الاستفادة من صيام رمضان:

١- إحسان الصيام:

حرص الدعاة في الحضارة الإسلامية على إحسان الصيام، فلم يكن الصيام في مفهومهم يعني الامتناع عن الطعام والشراب فقط، بل كان صياماً في الظاهر والباطن، أما ظاهره ففي ترك الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وأما باطنه ففي الصيام عن قول الزور والكذب والغيبة والنميمة وغيرها

أورد ابن حزم أن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قال: لَيْسَ الصِّيَامُ مِنْ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ وَحْدَهُ؛ وَلَكِنَّهُ مِنْ الْكَذِبِ، وَالْبَاطِلِ وَاللَّغْوِ، وقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ: إذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنْ الْكَذِبِ وَالْمَأْثَمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صَوْمِكَ سَوَاءً[2].

٢- قراءة القرآن:

روى البيهقي أن عثمان كان يختم القرآن في رمضان كل ليلة مرة، وابن مسعود يختمه كل ثلاث ليال، وتميم الداري يختمه كل سبع ليال، وأبي بن كعب يختمه كل ثمان ليال، وكان الإمام مالك إذا دخل عليه رمضان يُقبل على تلاوة القرآن من المصحف، ويترك كل شيء حتى مدارسة الحديث، ومجالسة أهل العلم، وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن[3].

٣- صلاة القيام:

روى الإمام مالك عن السائب بن يزيد قال: أمر عمر بن الخطاب أُبَيَّ بن كعب، وتميماً الداري، أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة في رمضان، فكان القارئ يقرأ بالْمِئِينَ، حتى كنا نعتمد على العصيِّ من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر، وعَنْ عَبْدِ للَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كُنَّا نَنْصَرِفُ فِي رَمَضَانَ من القيام، فَنَسْتَعْجِلُ الْخَدَمَ بِالطَّعَامِ مَخَافَةَ الْفَجْرِ.

٤- إطعام الطعام:

كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يأكل تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل،

فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً، وكان رجال من بني عدي لا يفطرون وحدهم أبداً في رمضان، فإذا وجدوا من يفطر معهم أخذوه إلى بيوتهم، وإلا أخذوا طعامهم إلى المسجد فأفطروا وأفطر معهم الناس.

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعاماً يشتهونه أحب إليّ من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل[٤]، وقال الذهبي: كان حماد بن أبي سليمان يفطر في رمضان خمسمائة إنسان[٥]، وأوردت كتب التاريخ أن أحد الخلفاء العباسيين رتب في رمضان عشرين داراً للضيافة يفطر فيها الصائمون من الفقراء، يطبخ في كل يوم فيها طعام كثير، ويحمل إليها أيضاً من الخبز النقي والحلواء شيء كثير[٦].

٥- تمرين الأولاد على الصيام والقيام:

روى البخاري، ومسلم، عن الرُّبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذٍ قالت: كُنَّا نُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ، وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَنَصْنَعُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ، أَعْطَيْنَاهُمُ اللُّعْبَةَ تُلْهِيهِمْ، حَتَّى يُتِمُّوا صَوْمَهُمْ، وروى البيهقي عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنَّا نَأْخُذُ الصِّبْيَانَ؛ لِيَقُومُوا بِنَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

٦- المحافظة على هيبة رمضان:

حفظ المسلمون في عصر الحضارة هيبة رمضان، فلم يسمحوا بانتهاك حرمة الصيام، فقد ثبت عن عليّ بن أبي طالب أنه أُتي برجل يسمى قيس بن عمرو، شرب الخمر في رمضان فضربه ثمانين جلدة، ثم ضربه من الغد عشرين، وقال: ضربناك العشرين لجرأتك على الله، وإفطارك في رمضان[٧].

دوافع حرص الدعاة في الحضارة الإسلامية على الاستفادة من صيام رمضان:

١- الحرص على الفوز بالثواب:

انطلق المسلمون في عصر الحضارة الإسلامية نحو الثواب الذي أعده الله للصائمين، فأحسنوا صيامهم وهم يرقبون هذا الجزاء العظيم، فقد قال يعقوب بن يوسف: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: «يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وجفت بطونكم كونوا اليوم في نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينكم»،

ابن القيم: الصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد إليها ما استلبته منها الشهوات

وقال الحسن: «تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين، وأنت في ظمأ من جهد العطش فباهى بك الملائكة، وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي، اشهدوا أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوجنيك»[٨].

٢- تزكية النفوس وتطهيرها:

حرص الدعاة في الحضارة الإسلامية على الاستفادة من صيام رمضان رغبة في تزكية النفوس وتطهيرها، ففي الصيام زكاة النفس وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة[٩]، فهو يسمو بالنفس ويرقى بالروح ويهذبها، ثم هو يطهرها من التعلق بالرفث والجهل، ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ»، وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: «الْغِيبَةُ تَخْرِقُ الصَّوْمَ، وَالِاسْتِغْفَارُ يُرَقِّعُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَجِيءَ غَدًا بِصَوْمِهِ مُرَقَّعًا فَلْيَفْعَلْ».

٣- بناء الإرادة والعزيمة:

حين رخص القرآن الكريم لمن لا يطيق الصيام في الفطر؛ أكد أن الصيام خير وأفضل، حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤)، ويأتي هذا الاستحباب في مقام الوسيلة التربوية المعينة على تحمل المشاق وتقوية العزيمة وبناء الإرادة، ففي الصيام تربية على تحمل الصعوبات والتغلب على الشهوات.

٤- حفظ البدن والجوارح:

قال ابن القيم: للصيام تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى[١٠]. ■

الهوامش

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي (٣/ ١٥٠).
(٢) المحلى: ابن حزم (٤/ ٣٠٦).
(٣) لطائف المعارف، ص ٣٦٠.
(٤) رسائل ابن رجب الحنبلي، ص ٤١.
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣٠).
(٦) البداية والنهاية: ابن كثير (١٦/ ٧٥٥).
(٧) المحلى: ابن حزم (٦/ ١٨٤).
(٨) لطائف المعارف، ص ١٥٨.
(٩) تفسير ابن كثير (١/ ٤٩٧).
(١٠) زاد المعاد (٢/ ٢٨).

أدب اللسان في رحاب الإيمان (2)

من فقه التوجيه النحوي في رحاب الذات الإلهية

د. رمضان فوزي
دكتوراة في اللغة العربية وعلومها

في الحلقة الأولى من سلسلة «أدب اللسان في رحاب الإيمان» حاولنا بيان تلك القدسية الاستثنائية والمكانة العالية التي حظيت بها اللغة العربية حين اختارها الله وعاءً لآخر رسالاته، وأكدنا أن العلاقة بين علم النحو وعلم العقيدة علاقة تأثير وتأثر، وقد تبيّن لنا كيف وقف علماء العربية حراساً على ثغور العقيدة، مستخدمين سلاح اللغة لرد انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وإذا كنا قد قررنا سابقاً أن القواعد النحوية قد تنحني أمام عظمة الخالق، فإننا في هذه الحلقة ننتقل من التنظير إلى التطبيق، لنسلط الضوء على بعض ما أسميناه «الاحترازات النحوية»؛ وهي تلك المواضع التي وجد فيها النحاة أن التقعيد النحوي المجرد قد يصطدم باللياقة العقدية؛ فآثروا أدب الاستعمال على صرامة القاعدة، واختاروا من وجوه الإعراب ومن أسماء المصطلحات ما يتناسب مع جلال الربوبية، مؤكدين أن النحو في رحاب القرآن الكريم **أدبٌ قبل أن يكون تقعيداً، ومن ذلك:**

الاحتراز في إطلاق «بدل كل من كل» على لفظ الجلالة:

هذا المحور يعد من أدق لطائف الأدب النحوي؛ ففي باب البدل، يطلق النحاة على التابع المطابق لمتبوعه اسم «بدل كل من كل» (مثل: جاء أخوك محمد).

وعند الوقوف على قوله تعالى في مفتتح سورة «إبراهيم»: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (إبراهيم)، نجد لفظ الجلالة الله جاء مجروراً بدلاً من العزيز الحميد، هنا استشعر أئمة النحو حرجاً من استخدام مصطلح «بدل كل من كل»؛ لأن كلمة الكل في اللغة لا تطلق إلا على ما له أجزاء وأبعاض، والله سبحانه أحد صمد منزه عن التجزئة والتركيب.

لأجل هذا الملحظ العقدي الدقيق، عدل الإمام ابن مالك (صاحب «الألفية») عن هذا المصطلح وسماه «البدل المطابق»، وأطلق عليه السيوطي «بدل شيء من شيء».

ولنتأمل هذا الورع العلمي؛ حيث إن تغيير اسم المصطلح لن يغير من الحركة الإعرابية (الكسرة) شيئاً، ولن يغير الحكم النحوي، ولكنه التحرز في إطلاق الألفاظ التي قد توهم نقصاً في حق الله، حتى لو كانت مجرد اصطلاحات علمية متداولة.

الاحتراز في استخدام الحض والتوهم.. مقام العبد أمام الرب:

لم تتوقف الاحترازات اللغوية عند اختيار المصطلحات الفنية فقط؛ بل تعدتها إلى التوجيهات التي قد تكون صحيحة في منطق القياس النحوي، لكنها مستهجنة في ميزان التوحيد، ومن أبهى صور ذلك ما نراه عند إعراب قول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: ١٠).

١- «لولا».. من غلظة الحض إلى رقة التمني:

تُعرف «لولا» في اللغة بأنها حرف حض -أو تحضيض- إذا دخلت على المضارع، مثل: لولا تذاكر دروسك أي: أطلب منك أن تذاكر دروسك، وتنديم -أو توبيخ- إذا دخلت على الماضي مثل: «لولا ذاكرت» تقال للمهمل في دروسه؛ أي: أوبخك لإهمالك في دروسك.

لكن النحاة حين وقفوا عند قوله: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، استشعروا أن مقام العبد وهو يرجو ربه عند سكرات الموت لا يناسبه أي من المعنيين؛ لذا، عدل المعربون إلى تخريجها على معنى التمني أو العرض اللطيف، وهو طلب برفق؛ بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك احترازاً، فقالوا: إن «لا» في «لولا» زائدة، والأصل: «لو أخرتني»، لتكون «لو» حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره، وهذا منتهى الدقة في صيانة اللسان عن إيهام ما لا يليق بجلال الله.

٢- التنزيه عن التوهم:

وفي الآية ذاتها نجد جزم الفعل «وَأَكُن»؛ فمن الناحية النحوية الصرفة، ذهب بعضهم إلى أنه مجزوم على توهم الشرط؛ أي أن التمني في قوله لولا أخرتني دلَّ على معنى إن تؤخرني، فجُزم الجواب بناءً على هذا التوهم.

غير أن المحققين من أهل الأدب مع الله كرهوا إطلاق مصطلح التوهم في سياق القرآن الكريم؛ فكلام الله حق يقين، ومنبعه علم مطلق لا يخالطه وهم، فعدلوا عن هذا التخريج التوهمي إلى تخريج أكثر أدباً، وهو أن الجزم جاء عطفاً على محل فأصدق؛ لأن

المعنى في أصله يؤول إلى الشرط «إن أخرتني أصدق وأكن»، فجاء الإعراب متسقاً مع المعنى دون الحاجة لاستخدام مصطلح التوهم الذي لا يتناسب وقدسية النص.

الاحتراز في إطلاق الوجوب على الله:

من أخطر المواضع التي تشابك فيها النحو بالعقيدة هو استخدام حروف المعاني، وتحديداً حرف الجر على؛ ففي قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ (النساء: ١٧)، دار الخلاف بين المعتزلة وأهل السُّنة بناءً على الحمولة الدلالية لهذا الحرف.

فقد ذهب الزمخشري (وهو إمام المعتزلة في اللغة) إلى أن «على» هنا تفيد الوجوب العقلي، زاعماً أن قبول التوبة واجب على الله سبحانه بمقتضى العدل، وهذا منحى يجعل الخالق سبحانه خاضعاً لقانون يوجبه عليه المخلوق.

أما أهل السُّنة، فقد انتفضوا تنزيهاً لله، وقرروا أن الله لا يجب عليه شيء إلا ما أوجبه هو على نفسه فضلاً وكرماً؛ ولذا قدموا توجيهات نحوية تراعي قدسية الذات الإلهية، منها:

١- الاستعلاء المجازي: أن «على» باقية على بابها لكنها تفيد أن قبول التوبة مترتب على فضل الله، والفضل منه سبحانه لا غلبه عليه.

٢- بمعنى «عند»: أي إنما التوبة «عند» الله، لتجريد الحرف من معنى الإلزام.

٣- بمعنى «مِن»: أي إنما التوبة منحة «من» الله؛ فالحرف هنا يفيد الابتداء لا الوجوب.

وهكذا نرى كيف أن حرف جر كاد أن يغير تصوراً عقائدياً لولا يقظة النحاة الذين أدبوا ألسنتهم بأدب الإيمان.

إن لغتنا العربية ليست مجرد وعاء ناقل للمعلومات، بل هي محراب يتعبد فيه العلماء لربهم، وهؤلاء النحاة الذين سهروا على رفع الفاعل ونصب المفعول كانوا يرقبون الله في كل حركة وسكون، فإذا ما وصلت القواعد إلى لفظ الجلالة أو صفات الربوبية، خلعوا نعل القياس واكتسوا بحلة الاحتراس.■

بردة الرسول ﷺ

شعر: أحمد بخيت

قُلْ باسْمكَ اللهِ واصْعَدْ بي لسدرته ... واخْشَعْ لمَنْ تخشعُ الدنيا لهَيْبته
هذا مَقامٌ كريمٌ، لا يليقُ بهِ ... إلّا فؤادٌ كريمٌ في محبَّته
لولا المحبةُ لم تَثْبُتْ بنا قَدَمٌ ... مِنْ خشيةِ الله، إجلالاً لرَحْمته
الأولياءُ وقوفٌ خلفَ رايته ... والأنبياءُ صفوفٌ دونَ سُدَّته
من ليس يُسْبَقُ في خَلْقٍ ولا خُلُقٍ ... وليس يُلْحَقُ، كلٌّ دونَ رتبته
ثنْتَانِ ثنْتَانِ لا يَبْلى جلالُهُما ... إعجازُ قرآنه، إعجازُ سيرته!
هو المُهاجِرُ في الأصلابِ نَهْرَ سَنًا ... يَسْري إلى الحقِّ، إرهاصاً ببُغْيَته
وهْوَ المباركُ في الأرحامِ نَبْتَ رِضًا ... عقائلُ الطُهْرِ بستانٌ لمَنْبته
ما عزَّ بالنَّسبِ العالي، وَإنْ شَرُفَتْ ... أصولُهُ الغُرُّ، بل عَزَّت بنَسْبَته!
تشريفُ حواءَ أنْ نالت أمومتَهُ ... وفَخْرُ آدمَ يأتي مِنْ أبوَّته
هو اليتيمُ الذي آواه خالقُهُ ... كرامةً مِنْ لدن ربيٍّ لصَفوَته
وهْوَ الصدوقُ لساناً والأمينُ يداً ... والباسمُ الوجه، لا يُشقَى بصُحْبَته
وهو المُقلِّبُ في الآفاقِ أعْيُنَهُ ... في هَدأة الليلِ، طوَّافاً بفكرته
هل يبتغي المُلْكَ مَنْ يأوي إلى مَلِكٍ ... كلُّ الملوكِ عبيدٌ رَهْنُ قَبْضته؟
أوْ يطلبُ الشمسَ مَنْ بُرهانُ مُحْكَمِهِ ... نورٌ مِنَ اللهِ سارٍ في بصيرته؟
أوْ يرتجي قَمَراً يهديه في ظُلَمٍ ... مَن ظلمةُ الليلِ يجلوها بطلعَته؟
مَنْ يَعْبُدُ اللهَ، لا خوفاً، ولا طمعاً ... سيفٌ مِنَ اللهِ ماضٍ في مشيئته!
لا تستفزُّ عطايا الكُفْرِ أعْيُنَهُ ... ولا تنالُ الرزايا مِنْ عزيمته
طابت به الأرضُ، لم ينقلْ بها قَدَماً ... إلّا وفاحَ الثرى مِسْكاً بوطأته
ولا رنا للسما، في الجدبِ، مُبْتَهِلاً ... إلا هَمَى الغيثُ إكرامًا لنَظْرَته!
راعي اليتامَى، وآسي كلِّ ثاكلةٍ ... وفارجُ الكَرْبِ، والمُوفِي بذِمَّته
عَزيمةٌ ملؤُها الإيمانُ، لو صَدَمتْ ... شُمَّ الجبالَ تهاوتْ دون عَزْمته
شجاعةٌ تاجُها حزمٌ، وزينتُها ... حِلْمٌ، وغايتُها سِلْمٌ لمِلَّته
أسخى الكرام، وأغناهُم بخالقه ... عن شهوةِ المالِ، إذ يُغري بفتنته
محمدٌ سيدُ الأخلاقِ ما كَرُمَتْ ... وفارسُ الحقِّ، والحامي لحُرْمَته
صافي السريرةِ، برٌّ كُلُّهُ وتُقًى ... جرثومةُ الحقد لَمْ تَعْلَقْ بنَطفَته
من قال بالحقِّ: يا مَيَّالةُ اعْتَدلي ... في طاعةِ اللهِ، إيماناً بقُدرته
مَنْ خاطبَ الناسَ أحراراً كما وُلِدوا ... مولاكُمُ اللهُ فاعْتَزُّوا بعِزَّته!
أسلمتُ وجهي إلى ربِّي، وأُشْهِدُهُ ... أنِّي رضيتُ من الدنيا بقِسْمَته
باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينَ هُدًى ... وبالنبيِّ، ثباتاً في عقيدته
لما وقفتُ على بابِ الرِضا دَمَعتْ ... عَيني، وغالبها قلبي بفَرْحَته
يا ربِّ فاجعلْ لنا من حبِّنا سبباً ... إلى الحبيبِ وألْحِقنا برِفْقَته
هو المُشفَّعُ يومَ الناسُ في فزعٍ ... نارٌ وعَدْنٌ وكلٌّ نحوَ وجْهَته
في يومِ كلِّ مُحبٍّ جاءَ مُقْتدياً ... بأشْرَفِ الخلقِ يَرْضَى في مَعيَّته
صَلاةُ ربِّي عليه كُلَّما هَدَلَتْ ... يَمامةٌ وزَهَا غُصْنٌ بزَهْرَته

إعداد: مصطفى محمود

6 أكاذيب عن وهْم الزواج المثالي دمرت علاقاتنا الواقعية

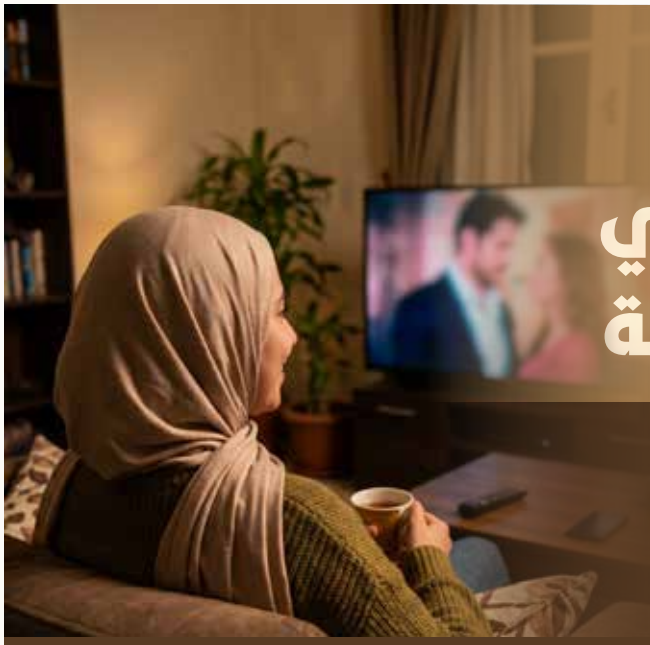

غرست الدراما ومنصات التواصل الاجتماعي صورة مشوهة عن الارتباط والعلاقات الزوجية؛ الأمر الذي جعل كثيراً من الشباب يقعون أسرى لوهم الزواج المثالي، هذا الوهم رفع سقف التوقعات لدرجة يستحيل معها الشعور بالرضا في الحياة الزوجية العادية (الواقعية)؛ ما أدى إلى تصدع البيوت لأسباب واهية، فالزواج ليس مشهداً درامياً ينتهي بزفاف أسطوري، بل هو ميثاق غليظ وشراكة حياة، إليك ٦ أكاذيب تدمر العلاقات الزوجية:

١- حب البدايات لا ينطفئ أبداً:

تروج الأفلام لقصص الحب العاصفة التي لا تهدأ، إلا أن الواقع له رأي آخر؛ فالمشاعر المتقدة في البدايات تتحول مع الوقت والمسؤوليات إلى شكل أعمق وأكثر استقراراً من الحب التقليدي، وهو ما لخصه القرآن الكريم بدقة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)؛ فالمودة والرحمة هما الرصيد الحقيقي الذي يحمي العلاقة عند فتور مشاعر الحب العابرة.

٢- الخلافات دليل على فشل العلاقة:

يعتقد البعض أن الزواج الناجح هو الذي يخلو تماماً من أي نوع من المشكلات، وأن أي صدام مؤشر على فشل العلاقة، إلا أن الواقع يخبرنا أن الاحتكاك بين شخصين من بيئتين مختلفتين أمر طبيعي، بل وصحي إذا تمت إدارته بحكمة، فبيت النبوة نفسه لم يخلُ من الخلافات الزوجية البشرية المعتادة، فالسر ليس في الغياب الأبدي للخلاف، بل في كيفية احتوائه ومعالجته.

٣- الشريك المثالي:

يعاني كثير من الشباب من وهْم «الشريك المثالي»، حيث يبحث هؤلاء عن شخص مفصل على مقاس أحلامهم، متجاهلين أنه لا يوجد شخص خالٍ من العيوب؛ لذا كان الزواج فناً قائماً على تقبل النقص وإدارة العيوب؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ»؛ أي لا يبغضها بالكلية.

٤- السعادة الزوجية تُقاس بصور التواصل الاجتماعي:

حينما يتم إسقاط منشورات مواقع التواصل الاجتماعي والرحلات الفاخرة على واقع الشباب، فإن ذلك يدمر نفسيتهم، حيث يتناسى هؤلاء أن ما على شاشات «اليوتيوبر» والمؤثرين ما هو إلا لقطة منتقاة بعناية للتباهي، ولا يعكس حقيقة الأبواب المغلقة؛ فمقارنة الحياة الواقعية بنوافذ الآخرين الافتراضية تفتح باب السخط؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾(طه: ١٣١).

٥- وهْم قراءة الأفكار:

من الاعتقادات المغلوطة أن الشريك المثالي يمتلك قدرة خارقة على قراءة الأفكار؛ فيلتزم الطرف الآخر الصمت منتظراً أن يكتشف شريكه سبب ضيقه دون أن يتحدث، وإذا لم ينجح يتهم مباشرة بنقص الحب والاهتمام! ولكن الحقيقة أن البشر ليس لديهم قدرة على قراءة العقول، والتوقعات الصامتة أقصر طريق للتعاسة وتراكم الجفاء، فالعلاقة الصحية تتطلب لغة حوار واضحة وبوحاً مباشراً بالاحتياجات والمخاوف.

٦- التضحية تعني إلغاء الذات:

غالباً ما تروج الدراما للتضحية على أنها إلغاء تام للرغبة الذاتية، وتنازل مستمر عن الحقوق بدافع حب الطرف الآخر، إلا أن الشريعة الإسلامية أرست قاعدة أساسية للتوازن: «لا ضرر ولا ضرار»؛ فالعلاقة السوية تقوم على العطاء المتبادل، والاحترام، والعدل، وليس استنزاف طرف لصالح الآخر؛﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة:٢٢٨). ■

فخ «اتباع الشغف».. 4 إستراتيجيات للنجاح المهني

4 أخطاء نرتكبها باسم «النصيحة»!

هل سبق وأن قدمت نصيحة لصديق أو قريب لكنه لم يستجب؟ أحياناً نقدم النصيحة على أنها طوق نجاة لمن نحب، إلا أنها تتحول، دون قصد، إلى جدار سميك من الجفاء والقطيعة، المشكلة هنا لا تكمن في المضمون، بل في الأسلوب والطريقة التي خرجت بها الكلمات؛ فالوعظ الفوقي الهجومي يغلق القلوب فوراً، بينما الرفق والستر وحدهما ما يضمنان دوام الألفة وبقاء الود بين الأصدقاء.

إليك ٤ أخطاء قاتلة نرتكبها باسم النصيحة، وكيف عالجها منهجنا الإسلامي:

١- فخ الفوقية:

الأخطر في النصيحة أن يشعر الطرف الآخر أنك لا تخاطبه من موقع الصديق الحريص، بل من منصة الواعظ المعصوم، فتنظر إليها من أعلى وكأنه أجرم جرماً لا يغفر، هذا الأسلوب الهجومي يستفز كبرياء النفس البشرية ويدفعها للدفاع عن الخطأ بدلاً من التراجع عنه، بينما المنهج النبوي كان في قمة الرفق واللين، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فالنصيحة شراكة ومواساة، وليست كلمات تجلد بها غيرك.

٢- فضيحة العلن وغياب الستر:

تقديم النصح على الملأ ليس نصيحة على الإطلاق، بل هو ضرب من الفضيحة التي تأباها النفوس الحرّة، فسلفنا الصالح جعل الستر أساساً للألفة، يقول الشافعي: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سراً فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ»، الصديق الصادق ينتظر خلوة دافئة، ليهمس في أذن رفيقه بحب وحرص، حامياً ستره وصورته أمام الآخرين.

٣- محاكمة النوايا والتدخل في السرائر:

من الأخطاء المسكوت عنها عند النصح، أن تبدأ كلامك بتفسير خاطئ عمن تنصح بناء على ظنونك الشخصية وكأنك مُلم بالنوايا (كأن تقول له: «أنت فعلت هذا لتتفاخر»، أو «نيتك لم تكن لله»).

هذا التجاوز الفكري يفرغ النصيحة من قيمتها ويغلق قلب من تنصح ويحول النصح إلى معركة شخصية، الإسلام أمرنا أن نترك السرائر لرب العباد؛ لذا عاتب النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد حين قال له: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟!»؛ فالأصل هو إحسان الظن وبناء النصح على الفعل الظاهر.

٤- استعجال النتائج:

النصح ليس عملية كبس زر يتغير معها الإنسان فوراً؛ فإصرار الناصح على أن يرى استجابة فورية، ومن ثم تكرار اللوم بجفاء وإشعار المخطئ بأنه قد هلك، يغلق أمامه باب الأمل ويقوده إلى اليأس والنفور التام؛ لذا، يجب أن تعطي من تنصح مساحة نفسية ليتدبر ويعود، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».■

حينما تطلب نصيحة من أحدهم لتحديد مسار عملك أو دراستك، سرعان ما تجد جملة «اتبع شغفك» على رأس النصائح، ورغم أهمية الشغف في حياتنا، فإنه وحده لا يغني من جوع، ذلك لأنه شعور متقلب، كما أن السوق لا تدفع لك مقابل ما تحب أن تفعله، بل مقابل الحلول التي تحتاجها للمشكلات التي تواجهها، والقيمة التي يمكنك أن تقدمها؛ لذا فإن الاعتماد على الشغف كمحرك وحيد فخ مهني قد يؤدي إلى الإحباط والبطالة.

إليك ٤ إستراتيجيات واقعية لبناء مسار مهني مستقر وناجح.

١- ابدأ ببناء «رأس المال المهني»:

بدلاً من البحث الوهمي عن شغف مفقود، ركز في بداياتك على اكتساب مهارات نادرة ومطلوبة بشدة في سوق العمل، المهارة تسبق الشغف وتصنعه؛ فكلما أصبحت بارعاً ومتقناً لعملك؛ زاد استمتاعك به وتقديرك له، والإتقان من أسس الشريعة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يحبُّ إذا عملَ أحدُكم عملًا أنْ يتقنَهُ».

٢- اتبع فضولك وليس شغفك:

غالباً ما يروج إلى الشغف على أنه مصير محتوم يجب اكتشافه؛ الأمر الذي يؤدي إلى ضغط نفسي كبير وغير متحمل، في المقابل نجد الفضول شعوراً هادئاً يفتح لك أبواباً جديدة للتجربة.

ابحث عن المجالات التي تثير اهتمامك وتدفعك لطرح الأسئلة والتعلم المستمر، فهذا الفضول سيقودك لنجاح واستمتاع لم تكن تتوقعه، والله تعالى أمرنا بكثرة التعلم والمعرفة، يقول سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه: ١١٤).

٣- افصل هواياتك عن وظيفتك:

من أكبر الأخطاء أن تربط قيمتك الإنسانية وشغفك المطلق بمسمى وظيفتك، فليس من الضروري أن يكون مصدر رزقك هو نفسه مصدر متعتك وشغفك، فمن النضج أن تعمل في وظيفة توفر لك الاستقرار المالي والحياة الكريمة، وفي الوقت ذاته تمارس شغفك الحقيقي واهتماماتك كهوايات خارج أوقات العمل الرسمية، يقول تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

٤- ركز على ما يمكنك تقديمه للعالم:

عقلية الشغف تجعلك تدور حول ذاتك وتسأل: ماذا سيقدم لي هذا العمل؟ وكيف سيسعدني؟ بينما عقلية المهني الناجح تجعلك تسأل: ما المشكلة التي سأحلها للآخرين من خلال هذا العمل؟ عندما تركز على تقديم المنفعة وإحداث أثر إيجابي، سيأتيك الرضا والنجاح كتحصيل حاصل، فقيمة الإنسان الحقيقية تقاس بما يقدمه من نفع للآخرين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ».■

الهجرة النبوية.. استعادة لفقه التمكين وتأسيس للمشروع الحضاري

فرج كندي
مدير مركز الكندي للدراسات والبحوث

لم تكن الهجرة النبوية في ميزان السيرة حدثاً عارضاً يمليه إكراه اللحظة الضاغطة، بل كانت لحظة مفصلية انبثقت من رؤية ربانية سديدة، أرادت للرسالة أن تتجاوز مرحلة «البلاغ المباشر» إلى مرحلة «التمكين الحضاري».

إننا حين نقرأ الهجرة بعين المتأمل، لا نجدها هروباً من بطش قريش، بل نجدها استجابة طبيعية لاستكمال البناء؛ فالدعوة التي ظلت ١٣ عاماً في مكة تُرسخ العقيدة في النفوس، وتصقل إرادة المؤمنين، كانت في حاجة إلى بيئة تحتضنها لتتحول من فكرة تعيش في الصدور إلى نظام يُطبق في الواقع.

لقد تجلى في مسار الهجرة فقه دقيق للأسباب، ينسف تلك الدعاوى التي تصور التوكل على الله انقطاعاً عن سنن الكون، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في كل خطوة من خطواته يرسم للداعية المعاصر خريطة طريق في الإدارة والتدبير؛ بدءاً من اختيار الرفيق الذي يحمل عبء السر، مروراً باستئجار الدليل الخبير بطرق الصحراء، وصولاً إلى اختيار الغار الذي يُعد نقطة انطلاق إستراتيجية، لا مجرد مأوى للاختباء.

إن هذا المزيج بين الثقة المطلقة في نصر الله، والأخذ بكافة أسباب الحيطة والحذر، يمثل ركيزة أساسية في المنهج الدعوي، يخبرنا أن الغاية العظيمة لا تُنال إلا بجمع متناغم بين إيمان القلب وعمل الجوارح.

ومع وصول الركب النبوي إلى المدينة، لم يكتفِ الإسلام بمجرد الانتقال المكاني، بل أحدث نقلة في بنية المجتمع، محولاً إياه من قبائل متناحرة تعيش في حيز التنافس العصبوي، إلى أمة واحدة يجمعها رابط الإيمان وتوثقها أواصر الأخوة.

لقد استوعب النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته أن بناء الدولة يبدأ من بناء الإنسان، فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إبداعاً اجتماعياً فريداً، تذوب فيه فوارق النسب والمال، لتغدو الطاعة لله والولاء للرسالة المقياس الوحيد للتفاضل؛ هذا التحول النوعي هو الذي أعطى الدعوة الإسلامية قوتها، إذ جعل من المدينة قاعدة انطلاق حضارية، لا مجرد ملجأ للمضطهدين.

ولعل الأثر الأعمق للهجرة يتجلى في تحويل الإسلام من دعوة تدعو إلى الأخلاق إلى منظومة تحكم الحياة، ففي المدينة، تشكلت المرجعية التشريعية، وتأسست مفاهيم المواطنة عبر وثيقة المدينة التي أرست قواعد التعايش السلمي في مجتمع متعدد المشارب والأديان.

لقد أثبتت الهجرة أن الإسلام دين متسع، يستوعب تفاصيل إدارة الدولة وفقه السياسة وتدبير شؤون الناس؛ ما جعل من الدعوة إلى الله فيما بعد الهجرة فعلاً شمولياً لا ينفصل عن الواقع، بل يقوده ويقوم اعوجاجه.

إن واقعنا المعاصر في حاجة ماسة إلى استعادة روح الهجرة، ليس من حيث صورتها المكانية، بل من حيث جوهرها الفكري الإستراتيجي، إننا اليوم أحوج ما نكون إلى هجرة المفاهيم، حيث ننتقل من فوضى العشوائية إلى دقة التخطيط، ومن الانشغال بالجزئيات إلى التركيز على الكليات، ومن الانكفاء على الذات إلى التفاعل مع حركة التاريخ.

إن الهجرة تُعلم الداعية أن التمكين لدين الله ليس ضربة حظ، بل هو نتيجة حتمية لتربية النفوس، وإعداد العدة، والتوكل الصادق، والعمل المستمر وفق منهج يجمع بين الثبات على المبدأ والمرونة في اتخاذ الوسائل ■

الهجرة النبوية.. هجرة العادات وبناء المبادئ

محمد قائد الحسيني

لم تكن الهجرة النبوية مجرد انتقال من مكان إلى آخر، أو هروباً من الاضطهاد الذي عاناه المسلمون في مكة وحسب، بل كانت في حقيقتها هجرة لعادات قومهم في قريش وأخلاقهم، فقد كانت هجرتهم من بيئة يُعبد فيها غير الله ويُستغاث بغيره، وكانت هجرة من بيئة الظلم والكبت التي حُرموا فيها من حرية ممارسة عباداتهم والدعوة إليها.

كانت مكة آنذاك مدينة جامعة، يفد إليها الناس من غالبية المناطق العربية، وكانت مركزاً تجارياً لسادات قريش، لهم فيها حظوة ومكانة، وكان بين المسلمين المهاجرين من يعمل بالتجارة، ومنهم من يمارس أعمالاً أخرى غيرها، وعندما قرروا ترك مكة والهجرة، كانوا على إدراك تام بما سيتركونه خلفهم من أموال ومتاع وذرية، كما كانوا على علم بأن قريشاً ستصادرها وتجردهم من كل شيء.

كان المجتمع آنذاك قائماً ومرتكزاً على القبيلة؛ فبها يُعرَف الفرد، وبها يتعرف عليه الناس، وكانت القبيلة آنذاك دولة الفرد، وعاداتها وأعرافها هي القوانين التي تحكم أبناءها، وكان معنى مغادرة المسلمين المهاجرين من مكة خروجهم عن قوانين القبيلة وأعرافها، وأن يصبحوا بلا قبيلة تحميهم، ولا سند يؤويهم.

ولهذا، فقد هجر المسلمون القبيلة كمرجعية، ليستبدلوا الأمة بها، وهاجروا أنسابهم لينتسبوا إلى الإيمان كمرجعية عابرة للحدود والأنساب، وحين وصلوا إلى المدينة وضعوا اللبنات الأولى للمواطنة التي تلغي الفوارق الطبقية والعرقية والمناطقية، والقائمة على التقوى أساساً للتفاضل والأفضلية.

لقد هجر المسلمون بهجرتهم عقيدة قريش وأسيادها الذين كانوا ينحنون للأصنام ويتضرعون لها، وكان حول الكعبة ٣٦٠ صنماً، يطوف أهل مكة حولها كطقوس يومية يمارسونها، كما هجر المسلمون بهجرتهم العادات والتقاليد التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم في الثارات، والمقامرة، وشرب الخمور، والتعصب الجاهلي القائم على النسب والسلالة، واحتقار ما دون ذلك.

هاجر المسلمون وتركوا كل ذلك لهدف عظيم وسام؛ فقد كانت هجرتهم بداية لنشوء مجتمع ودولةً أقاما الحضارة الإسلامية، وتم ذلك من خلال بناء الشخصية الإسلامية المستقلة، التي تدرك أن قيمتها الأساسية تكتسبها من دينها ومبادئها، لا من قبيلتها أو مالها أو تجارتها، ولذلك فقد كانت الهجرة واحدة من الوسائل التي ساهمت في إعداد الشخصيات المسلمة في العصر الأول، وأصبح المسلمون في المدينة مجتمعاً واحداً وكتلة واحدة لا يمكن كسرها، ولا همّ لهم إلا الله وحده، يضحون في سبيله بكل غالٍ وثمين.

لم يكن ما هجره المسلمون متاعاً زائلاً فحسب، بل هجروا الجاهلية بكل ما فيها من عادات، ولم يكن ما تركوه هناك أموالاً وذرية فقط، بل تركوا القيود، وهجروا الكبت، وآثروا أن يكونوا أحراراً يعبدون الله وحده، فالهجرة النبوية لم تكن حدثاً عابراً، بل مرحلة نقلت أمة الإسلام من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن التبعية إلى الاستقلال الفكري والسيادي، كما تحوّل العرب بها من قبائل متناحرة تخضع للدول والإمبراطوريات، إلى دولة امتد حكمها حتى وصل إلى نهر السند شرقاً، والأندلس غرباً.■

طريق النجاة في زمن الفتن

حسن الخولي

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، من خلال تدبر هذه الآية الكريمة يمكن الوقوف على عدد من الحقائق المهمة.

أولاها أن الله تعالى بيَّن لعباده طريق الحق وأكَّد أنه الصراط المستقيم، وهو طريق واضح المعالم لا غموض فيه، كوضوح الشمس في رابعة النهار، ليكون سلوكه ميسراً لمن أراد الوصول إلى رضوان الله وجنته، وهذا الصراط المستقيم لا يضل عنه إلا من أعرض عن الحق أو عميت بصيرته.

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وصيته العظيمة التي رواها الصحابي الجليل العرباض بن سارية رضي الله عنه، حيث قال: وعَظَنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَوْعِظَةً وجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العيونُ، فقلْنَا: يا رسولَ اللهِ، كأَنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فماذا تَعْهَدُ إلينا؟ فقال: «أُوصيكُمْ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فإنه مَنْ يَعِشْ منكم بعدي فسَيَرَى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ» (رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد).

ويتجلى هذا الاختلاف الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم في واقع الأمة اليوم، حيث تتعرض لكثير من الفتن والمحن التي أخبر بها وحذر منها، ومن أخطر تلك الفتن ما يدبره أعداء الإسلام من قوى الكفر والاستكبار بمختلف صورها، وينفذه بعض الخونة والعملاء الذين أُعدوا لهذا الغرض وزُرعوا بين المسلمين، إضافة إلى الأبواق الإعلامية المأجورة التي تبث رسائلها عبر وسائل الإعلام المختلفة ومنصات التواصل الاجتماعي.

كما يسهم في ذلك بعض المنتفعين من علماء السوء الذين يلبسون الحق بالباطل، فيشوّهون الحقائق ويقلبون الموازين؛ فيجعلون الحق منكراً يحاربونه، ويصورون المنكر على أنه حق يدعون إليه ويرغبون الناس فيه.

وبسبب هذا التضليل والتزييف وقع كثير من المسلمين في شباك تلك المخططات، ولم ينجُ منها إلا من حفظه الله تعالى برحمته وأحاطه بعنايته وتوفيقه، ونسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء القلة الثابتة على الحق، وقد صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣)، ويقول سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص: ٢٤).■

العلاقة الحميمية.. بين القصور والوفاء

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية

أستاذي الفاضل د. يحيى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية تقدير لكل العاملين بمجلة «المجتمع»، أنا رجل أبلغ من العمر ٣٩ عاماً، وزوجتي ٣٥ عاماً، تزوجنا من حوالي ١٠ سنوات، ورزقنا الله بثلاثة أولاد، ولله الحمد منَّ الله علينا بالمودة والرحمة، ومنذ حوالي ٦ أشهر أُصبت بفيروس خطير كاد يقضي على حياتي لولا أن منَّ الله عليَّ بالشفاء ولله الحمد، وقد أثر المرض والعلاج عليَّ، فلم أعد قادراً على ممارسة علاقتي الزوجية كلية.

ومما يضاعف ألمي، أن العلاقة الحميمية كانت تمثل مصدراً مهماً وأساسياً في سعادتي وزوجتي، وكانت هي حريصة جداً على ذلك، حالياً أثر ذلك على علاقاتنا، فلم أعد أستطيع أن أنظر إلى عينيها، وكذلك هي تتحاشى أي حديث خاص بيننا، أشعر بآلامها من الحرمان وأخاف أن أظلمها، هل أطلقها؟ إننا من قرَّاء مجلتكم الموقرة، فهل من نصيحة؟

الدنيا دار ابتلاء، وحتى يمنّ الله على عبده بفيض رحمته عليه الاحتساب والصبر الجميل، ورغم قيمة وأهمية العلاقة الحميمية بين الزوجين، فإن الزواج لا يقوم عليها فقط، بل إن هناك العديد من عناصر الزواج التي يتمكن الزوجان من استمرار علاقاتهما الزوجية بكل الرضا ودفء المشاعر.

فمن الناحية الشرعية والأخلاقية، يجب على الزوج الذي يجد أنه لا يستطيع تلبية احتياجات زوجته من العلاقة الحميمية أن يخيّرها، ولا حرج عليها إن طلبت الطلاق، ولها كل حقوق المطلقة، الزوجة محبوسة على زوجها، ولا يباح لها التعدد كالزوج؛ لذا يجب الزوج أن يخيّرها، إن تجاهل الزوج حالته فيه ظلم لزوجته مما قد يلجئها إلى:

- الصبر حرجاً دون مسامحة لزوجها.
- اللجوء إلى التقاضي.
- تعرضها للفتنة والخطأ.

الحل:

إن من أهم مقومات الحياة الزوجية بعد الإخلاص، الثقة بين الزوجين والصراحة والوضوح بكل شفافية؛ لذا عليك يا أخي الكريم بالرضا كل الرضا وحمد الله على أن منَّ الله عليك بالشفاء والصبر الجميل على ابتلائك، وهيئ نفسك بالرضا بالقرار الذي ستتخذه زوجتك، فتفوز ببشرى الله لك، وأي فوز هذا!

وادعُ زوجتك لجلسة إيمانية، واذكر لها نِعَم الله عليك بها، وأن ولله الحمد قد ابتليت أنت وليس عليها فرض شرعاً أن تشاركك في ابتلائك، وأنك تعفيها وتعطيها كل الحق

في الانفصال دون أي حرج ولها كل الحقوق كمطلقة.

وللزوجة التي ابتليت بزوج غير قادر على الوفاء باحتياجاتها من العلاقة الحميمية أقول: إن كنت تخافين على نفسك الفتنة، فلا حرج عليك أن تطلبي الطلاق فهذا حقك، سواء خيّرك زوجك بكرم خلقه أم تجاهل احتياجاتك وقصوره عن تلبيتها، وأياً كانت الخسائر الاجتماعية أو المالية المترتبة على الطلاق فلا تساوي الوقوع في الفاحشة.

ورسالتي لكل زوجين بصفة عامة، ولكل زوجين يعاني أحدهما من قصور في الوفاء باحتياجات زوجه الحميمية ويعاني الآخر من حرمان، لصفة خاصة:

١- رغم قيمة وأهمية الإشباع الحميمي، فإن الزواج ليس عقد إشباع حميمي فقط، بل عقد مودة ورحمة وبوتقة متكاملة لتلبية الاحتياجات الروحية والعقلية والنفسية والبدنية؛ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)، وإذا ضعفت بعض الوظائف، فإن الرحمة توسّع المساحة التي تضيق بها القدرة.

٢- حتى مع وجود ضعف أو قصور لدى الزوج، كثير من النساء يمكن أن يشعرن بالاستمتاع والرضا الحميمي في إطار علاقة مليئة بالمودة والتفاعل العاطفي، والانسجام والتناغم بين الزوجين.

على الزوج الذي يعاني من قصور في قدراته الحميمية أن يعوض زوجته في باقي علاقاتهما معنوياً ومادياً، للأسف بعض الأزواج حتى يعوض عجزه، وحتى لا يشعر أنه ضعيف، يكون أكثر صلابة وتعنتاً، فيعقّد علاقته بزوجته بدلاً من أن يزداد قرباً ولطفاً.

بناء على الثقة والشفافية والحب بين الزوجين يتفق الزوجان على أسلوب التعامل مع ابتلاء عجز الزوج، ومن واقع ما يرد إلينا من استشارات، نرى أن الزوجات نوعان من حيث تعاملهن مع هذا الابتلاء:

الأول: غلق موضع العلاقة الحميمية وكل ما قد يثيرها، مع بقاء، بل وتقوية كل العلاقات الزوجية الأخرى خاصة المحبة في الله، مع كل الحب والتقدير بينهما، هذا ليس معناه أن الزوجة لن تعاني من الحرمان نهائياً، ولكنها آثرت الابتعاد كلية عن كل ما قد يثيرها وبذلك قللت من احتمالات استثارتها.

ولعل هذا يتفق مع الدراسات التي تؤكد أن الرجل غالباً ما يبدأ بالرغبة ثم يبحث عن الإشباع، بينما المرأة كثيراً ما تبدأ بالتفاعل ثم تنمو الرغبة، وهذا يتوافق مع نموذج الرغبة المستجيبة الذي قدمه معهد الصحة الجنسية، حيث بيّنت الدراسة أن كثيراً من النساء لا يشعرن برغبة تلقائية سابقة، بل تتولد الرغبة أثناء التفاعل العاطفي والجسدي.

الثاني: زيادة جرعة الإشباع العاطفي، والوصول إلى الارتواء الحميمي بشكل ما مع الزوج رغم قصوره في إتمام علاقة كاملة.

وأما إن كنت ولله الحمد بعيدة عن مخافة الوقع في الخطأ، ففي هذه الحالة عليك تقييم قرار الانفصال من عدمه بناء على ما يترتب على كل حالة من إيجابيات وسلبيات.

تأثير القرار على الأولاد:

إن قرار الطلاق لا يتعلق فقط بالزوجين، بل يتعلق بالمقام الأول بالأولاد، وعادة ما يكون القرار سلبياً عليهم مهما بذل الوالدان من جهود لتجنب أولادهما تبعيات فقدانهم دفء الحياة في محضن تربوي آمن، لذا فمن حق الأولاد على والديهم ألا يقيّما طلاقهما من منطلق السلبيات والإيجابيات في علاقتهما الزوجية فقط، بل والأهم أثر الطلاق على الأولاد.

لذا، فالقرار الخاص بالاستمرار في الحياة الزوجية من عدمه، يجب أن يتضمن السلبيات والإيجابيات في حالة الاستمرار مقارنة في حالة الطلاق على الأولاد أولاً ثم الزوج، هذا لا يعني تجاهل الزوج لآلامه ومعاناته، ولكن إذا كان الزوج يمكنه التعامل مع سلبيات الاستمرار مقابل تجنب الأولاد مشقة التشتت في حالة الطلاق، فتوصيتي بالاستمرار.

تاريخ علاقتك الزوجية:

عليك أن تسألي نفسك: هل زوجي له رصيد من العطاء المعنوي والمادي ما يجعل له كل الحق أن أكون بجانبه في محنته، بل في محنتنا؟ مهما كانت معاناتي من الحرمان، فهو زوجي الحبيب، أم أنها فرصة للتخلص من عبء هذا الزوج؟

لذلك، دائماً نشير إلى أن العلاقة الزوجية علاقة استثمارية مع الله في زوجي، فأنا أخلص لله، وأحسن بكل ما يوفقني الله به لزوجي دون إسراف أو تقتير، فأعفو عن زلاته وأكرمه من فضل الله علينا دون مَنٍّ أو استعلاء، منتظر الجزاء الأوفى من الله، فإن ابتلاني الله في صحتي أو مالي يكون لي عند زوجي رصيد من العطاء المعنوي والمادي؛ ما يساعده على أن يكون كريماً معطاءً في ضعفي.

على الجانب الآخر، إن شعرت الزوجة أنها لا تستطيع أن تلبي احتياجات زوجها الحميمية، فعليها أن تعرض عليه الزواج من بعض من تتوقع أن تكون نعم الزوجة لزوجها ونعم الأخت لها، كما أن على الزوج ألا يبادر إلى فكرة الزواج الثاني لمجرد عدم قدرة زوجته على تلبية احتياجاته الحميمية، بل عليه التفكير العقلاني وقياس الآثار المترتبة كما سبق أن أشرنا.

كما أنه إذا كانت الزوجة لا تستطيع أن تلبي احتياجات زوجها الحميمية، وأخبرها برغبته في الزواج من أخرى، ألا تأخذها أثرة النفس والغيرة المرضية؛ ما قد يعرض زوجها للفتنة، بل تشاركه في تقييم قرار الزواج بأخرى وآثاره، وتكون عوناً له على طاعة الله والوفاء بالتزاماته تجاهها وتجاه أولادهما، وما هي المرأة التي تتوافق مواصفتها للانضمام لهذه الأسرة.

خُلق مهم:

يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧)، ومن صفات اللباس الستر، فواجب على الزوج ستر زوجه في كل أحواله، وما يتعلق بالعلاقة الحميمية بصفة خاصة، كما حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من أن يفشي أحد الزوجين علاقته الحميمية بزوجه: «إِنَّ مِن أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» (رواه مسلم، ١٤٣٧).

ويقول تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩)؛ إن أُبتلي زوج بضعف قدرة زوجه على الوفاء بحقه في العلاقة الحميمية، ووجد أن قرار الاستمرار أولى لديه من قرار الانفصال، فعليه أن يحرص على الفوز بالأجر من الله؛ أن يصبر على زوجه المريض صبراً جميلاً.

إن الإمساك بالمعروف يعني الإحسان إلى الزوج بصفة عامة وفي عجزه بصفة خاصة وألا يشعره بأي نقص، وإلا فتسريح بإحسان. ■

ورقة الحلوى

أمين حميد

في زاوية منسية من زوايا المدينة الصاخبة، كان يجلس الشيخ بُنان الحمَّال؛ رجل لم تكن قامته المنحنية تحت ثقل الأكياس والمتاعب تشي بحقيقته، فقد كان حمَّالاً يكسب خبزه بعرق جبينه، لكنه في عيون العارفين كان مشهوداً بالصلاح والعبادة.

وكان الناس يلوذون بعتبة دكانه البسيط كلما ضاقت بهم مسالك الأرض، يبحثون في ملامحه الوقورة عن ومضة أمل، وفي صوته الخفيض عن باب موصول بالسماء؛ فقد استقر في يقين العامة أن هذا الشيخ دعاؤه قريب من الإجابة، فكان ملاذ الحيارى ومقصد المحزونين في شؤون دينهم ودنياهم.

وفي غمرة ذلك الصفاء المعتاد، انكسر هدوء الخلوة برجل دخَلَ عليه تعلو وجهه غبرة كآبة ثقيلة، وتسكن عيناه حسرة مَن خذله الصحب وضاع منه الحق، ليضع بين يدي الشيخ قصة ما كانت لولا لطف الله.

قال الرجل: يا شيخنا، اقترض مني رجل مائة دينار، وكتبنا ورقة بهذا المال، وضاعت الورقة مني، ولما علم الرجل بضياعها أنكر عليَّ مالي، فادع الله ليرد عليَّ ورقتي.

وأراد الشيخ بنان أن يبعد الرجل عنه بعض الوقت، حتى يدعو الله ليرد عليه ورقته، فقال له: أنا رجل كبير في السن، فاذهب واشترِ لي حلوى حتى أدعو الله لك.

وذهب الرجل ليشتري الحلوى، ورفع الشيخ يديه وراح يدعو له ويلحّ في الدعاء، وجاء الرجل بالحلوى، وجلس يفتح ورقتها ليطعم الشيخ منها، فأوقف بصره عليها، وظل لحظة مدهوشاً مذهولاً!

ثم صاح سعيداً مسروراً: يا الله، يا الله يا منان، هذه ورقتي يا شيخ بنان، هذه ورقتي التي كتب فيها الدَّيْن على الرجل بالمال، كيف أشكرك يا شيخ؟!

فقاطعه الشيخ في هدوء ووقار: اشكر الله يا رجل، وخذ ورقتك، وخذ الحلوى وأطعمها أولادك، وادعُ الله دائماً وألحّ في الدعاء.■

لمشاهدة الحلقة كاملة

راشدٍ وسارة.. وداعاً مدرستي!

١

ماذا حدث يا ابنتي؟ لِمَ كل هذا الغضب؟

المعلمة أحرجتني أمام الجميع لأنني نسيت الواجب.. سأبقى هنا وأغسل الأطباق طوال حياتي!

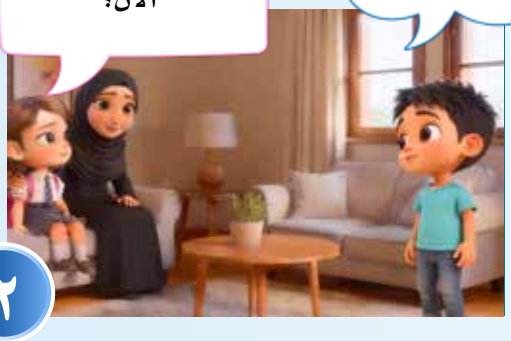

٢

جميل يا سارة، وماذا عن حلمك ببناء مستشفى الأطفال؟

ما دخل المستشفى الآن؟

٣

راشد محق يا سارة، أنترك الحلم الكبير بسبب موقف عابر؟

لكن الشعور بالإحراج يؤلمني جداً يا أمي.

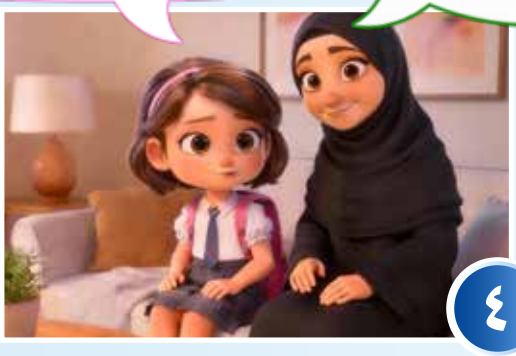

٤

تذكَّري أسماء بنت أبي بكر، شقت الصحراء لتوصل الطعام للنبي ﷺ، فهل تعجزين عن تحمُّل كلمة في سبيل العلم؟

حقاً، لقد كان طريقها أصعب بكثير.. أنا آسفة، سأعود وأعتذر لمعلمتي.

لمشاهدة الحلقة كاملة

من القدس إلى دمشق.. كيف تتشكل معادلة التوتر التركي «الإسرائيلي»؟

حمزة قورقماز
باحث في مركز الدبلوماسية والعلاقات الدولية (MID)

شهدت العلاقات التركية «الإسرائيلية» خلال السنوات الأخيرة مساراً متقلباً، إلا أن التطورات التي أعقبت عملية «طوفان الأقصى» دفعت هذا التوتر إلى مستوى جديد يتجاوز حدود الخلافات الدبلوماسية التقليدية، فالتصريحات المتبادلة الحادة، والتحولات الإقليمية المتسارعة، والصراع على النفوذ في المشرق العربي، جميعها تشير إلى أن العلاقة بين الطرفين باتت تدخل مرحلة مختلفة أكثر حساسية وتعقيداً.

وفي هذا السياق، لفتت الأنظار تصريحات وزير الداخلية التركي مصطفى تشيفتشي، حين تحدث في لقاء جماهيري عن أنه كان يدعو الله تعالى عندما كان والياً قبل تسلم الوزارة أن يكون والياً على القدس، وقد يبدو هذا الكلام للوهلة الأولى مجرد أمنية شخصية أو تعبير عاطفي مرتبط بمكانة القدس في الوجدان الإسلامي، إلا أن قراءة مثل هذه التصريحات بمعزل عن السياق السياسي والإستراتيجي القائم تبدو قراءة قاصرة، فالكلمات الصادرة عن كبار المسؤولين لا تُفهم عادة باعتبارها مواقف فردية مجردة، بل تُقرأ بوصفها مؤشرات تعكس جانباً من المزاج السياسي العام والرؤية الإستراتيجية للدولة.

ومن هنا، فإن التعامل مع هذه التصريحات باعتبارها مادة إعلامية عابرة أو خطاباً شعبوياً لا ينسجم مع طبيعة المرحلة الحالية، فتركيا تتبنى منذ سنوات خطاباً متصاعداً بشأن القدس والقضية الفلسطينية، وتسعى إلى ترسيخ حضورها السياسي والمعنوي في هذا الملف.

وفي المقابل، تنظر «إسرائيل» إلى هذا التوجه باعتباره جزءاً من مشروع نفوذ إقليمي أوسع، لا مجرد موقف سياسي مرتبط بالأحداث الجارية، ولعل هذا ما يفسر تصاعد حدة الخطاب «الإسرائيلي» تجاه تركيا خلال الفترة الأخيرة، فمراكز الدراسات الإستراتيجية «الإسرائيلية»، إلى جانب عدد من المسؤولين والعسكريين السابقين، باتوا يتحدثون بصورة أكثر وضوحاً عن تنامي الدور التركي في المنطقة وعن احتمال تحوله إلى تحدٍّ إستراتيجي مباشر للمصالح «الإسرائيلية»، وباتت السيناريوهات التي تتناول احتمال وقوع مواجهة بين الطرفين تُناقش في الأوساط السياسية والأمنية بصورة لم تكن مألوفة في السابق.

ومع ذلك، فإن طبيعة العلاقات الدولية وموازين القوى الإقليمية تجعل من غير المرجح أن يتجه الطرفان إلى حرب مباشرة في المدى المنظور، فكلاهما يدرك حجم الكلفة العسكرية والسياسية والاقتصادية لأي مواجهة مفتوحة، غير أن التاريخ السياسي للمنطقة يبين أن الأطراف لا تختار دائماً لحظة الصدام الكبرى، بل قد تجد نفسها مدفوعة إليها بفعل تراكم الأزمات وتداخل المصالح وتزايد الاحتكاكات الميدانية.

ومن هنا تبرز سورية بوصفها الساحة الأكثر ترجيحاً لتشكل هذا الاحتكاك المتصاعد، فبعد سنوات الحرب الطويلة، أصبحت الأراضي السورية نقطة تقاطع لمشاريع إقليمية ودولية متعددة، ومع تراجع النفوذ الإيراني نسبياً نتيجة الضغوط العسكرية والسياسية التي تعرض لها خلال السنوات الأخيرة، بدأت موازين القوى في المنطقة تشهد إعادة تشكيل تدريجية؛ الأمر الذي فتح المجال أمام بروز فاعلين آخرين في مقدمتهم تركيا.

وبالنسبة لـ«إسرائيل»، فإن التمدد التركي في سورية يمثل تطوراً يستحق المتابعة والاحتواء، فأنقرة تمتلك حضوراً عسكرياً وسياسياً مؤثراً في سورية، وتعمل على تثبيت موقعها في المعادلة السورية المستقبلية، كما أن قدرتها على التأثير في عدد من الملفات الإقليمية تجعلها لاعباً لا يمكن تجاهله في أي ترتيبات تخص مستقبل بلاد الشام.

أما تركيا، فتنظر إلى سورية باعتبارها جزءاً من أمنها القومي المباشر، فملفات الحدود واللاجئين والتنظيمات المسلحة ومستقبل التوازنات الإقليمية كلها عوامل تجعل من الصعب على أنقرة التخلي عن دورها هناك، ولهذا فإن استمرار الحضور التركي في الساحة السورية يبدو خياراً إستراتيجياً أكثر منه سياسة ظرفية مؤقتة.

وفي ضوء هذه المعطيات، تبدو سورية مرشحة لأن تكون المسرح الرئيس للتنافس التركي «الإسرائيلي» خلال السنوات القادمة، وقد يبدأ هذا التنافس عبر أدوات غير مباشرة كالحرب الاستخباراتية والضغوط الدبلوماسية والتحركات السياسية المتعارضة، إلا أن استمرار التصعيد وتراكم عوامل الاحتكاك قد يدفع الأمور تدريجياً إلى مستويات أعلى من المواجهة.

صحيح أن الطرفين قد لا يرغبان في الانزلاق إلى حرب مباشرة، إلا أن المؤشرات الحالية توحي بأن مسار الأحداث يتجه نحو مزيد من التصادم لا نحو التهدئة، فكثير من الحروب في التاريخ لم تبدأ نتيجة قرار واعٍ من جميع الأطراف، بل كانت ثمرة مسار طويل من التوترات المتراكمة التي جعلت الصدام أمراً شبه حتمي.

لذلك، فإن السؤال المطروح اليوم ليس ما إذا كانت العلاقات التركية «الإسرائيلية» تمر بأزمة عابرة، بل ما إذا كانت المنطقة تتجه نحو مرحلة جديدة من التنافس الإستراتيجي طويل الأمد بين تركيا و«إسرائيل»؟ وإذا استمرت الاتجاهات الحالية على حالها، فقد تتحول سورية من ساحة نفوذ متنازع عليها إلى نقطة الارتكاز الأساسية في صراع إقليمي ستكون له انعكاسات واسعة على مستقبل الشرق الأوسط بأسره. ■

اشترك أو جدد

داخل الكويت	10 د.ك
الدول العربية	17 د.ك
الدول الأجنبية	25 د.ك
المؤسسات والشركات	30 د.ك

قسيمة اشتراك بمجلة (المجتمع)

اسم المشترك :.....

العنوان :.....

صندوق البريد :..... الرمز البريدي:.....

تليفون :00965972282900 البريد الإلكتروني :sales@mugtama.com

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيات

(IBAN) KW54BBYN0000000000000008881094

نمـاء الخيريـة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي
مشروع
برد عليهم
تكييـف
ثلاجـة
برادة ميـاه
1 8888 33
@namaanet
نهتـم بالإنسـان
رقم الواقعة: ج/ 1 / أ خ 2 /2026- بداية الواقعة: 2025/08/28- نهاية الواقعة: 2026/12/31- توزيع الجمع النقدي
النسبة الإدارية لاتتجاوز 12.5% إنفاق على تعليمات وزارة الشؤون